

الوعي بين التمثيل والوظيفية:

**دراسة فلسفية تحليلية في ضوء الطبيعة البيولوجية
ونظريات الوعي الذاتي**

إعداد

د. إنجي عبدالله حسين إبراهيم

مدرس الفلسفة المعاصرة (فلسفة اللغة)

كلية الآداب - جامعة أسيوط

Email: ahmed_abdallah89@yahoo.com

DOI: 10. 21608/aakj. 2025. 417483. 2190

تاريخ الاستلام: ٢٥/٨/٢٠٢٥ م

تاريخ القبول: ١٦/٩/٢٠٢٥ م

ملخص:

تتناول الدراسة مسألة الوعي في سياق فلسفة العقل المعاصرة، باعتبارها إحدى أكثر القضايا تعقيداً وإشكالاً في التفسير الفلسفي والعلمي. فقد شهدت العقود الأخيرة تعددًا في المقاربات النظرية، أبرزها الوظيفية التي تفسر الظواهر العقلية من حيث أدوارها، والتمثيلية التي تركز على محتوى الوعي التمثيلي في البنية المعرفية، إلى جانب الطبيعة البيولوجية والنظريات الفينومينولوجية للوعي الذاتي. ورغم تنوع هذه الأطروحات، فإن كلاً منها يواجه قصوراً في تفسير التجربة الذاتية والكواليا، مما يثير تساؤلات حول إمكانية بناء تصور تكويني متكامل يجمع بين البعدين الفلسفي والعصبي.

وتتطلب الإشكالية الرئيسية للدراسة من التساؤل: هل يمكن تأسيس نموذج فلسفي شامل للوعي يوازن بين التمثيل العقلي، والوظيفية العصبية، وفهم الوعي الذاتي، أم أن كل مقاربة ستظل أسيرة حدودها النظرية والتجريبية؟ وتسعى الدراسة إلى تحليل أبرز النظريات الفلسفية حول الوعي، والكشف عن أوجه القوة والقصور فيها، مع استكشاف العلاقة بين الطبيعة البيولوجية للتجربة الواعية ومكوناتها التمثيلية والوظيفية، وصولاً إلى اقتراح نموذج تكويني يدمج الجوانب المختلفة للظاهرة في إطار طبيعي موسّع.

وتعتمد الدراسة منهجاً تحليلياً تكوينياً نقدياً، يركز على تحليل المفاهيم الفلسفية المحورية مثل التمثيل والوظيفة والذات والكواليا، والمقارنة بين نماذج فلاسفة بارزين مثل تشالمرز، ودانيت، وداماسيو، وزهافي، وبلوك. وتستند إلى أعمال أساسية في فلسفة العقل، تتنوع بين الأطروحات الثنائية الخصائص، والنظريات الوظيفية، والمقاربات العصبية البيولوجية، والتحليلات الفينومينولوجية لوعي الذات، بما يسمح ببناء إطار نظري متكامل يأخذ في الاعتبار المعطيات الفلسفية والعلمية معاً.

ويتوزع البحث على خمسة مباحث رئيسية: الخلفية الفلسفية لمشكلة الوعي، النظرية الوظيفية وتفسير الوعي، الطبيعة البيولوجية، التمثيل العقلي والوعي الذاتي، ثم المبحث الختامي الذي يقترح نموذجاً تكوينياً لفهم الظاهرة. ويختتم العمل بخاتمة تتضمن النتائج الرئيسية والأسئلة المفتوحة للبحث المستقبلي. وتكمن القيمة التطبيقية لهذه المقاربة في إسهامها بفهم أعمق لحالات الوعي المعدلة مثل الأحلام والتأمل واضطرابات الوعي، بما يدعم مجالات الطب النفسي وتطوير الذكاء الاصطناعي.

الكلمات المفتاحية: نظرية الوعي الذاتي، النظرية الوظيفية، التمثيل العقلي، الطبيعة البيولوجية

Abstract:

This study engages with the problem of consciousness within the domain of contemporary philosophy of mind, a field in which the phenomenon remains one of the most conceptually intractable and scientifically challenging subjects. Over recent decades, a range of influential frameworks has emerged—most notably functionalism, which interprets mental phenomena in terms of their causal roles; representationalism, which examines the representational content of consciousness within cognitive architecture; biological naturalism, which emphasizes the neurobiological underpinnings of experience; and phenomenological accounts of self-consciousness. While each framework offers valuable insights, none provides a fully adequate account of subjective experience and qualia, thereby motivating the search for an integrative model that bridges philosophical analysis and neuroscientific explanation.

The core problem addressed by this research is whether it is possible to formulate a comprehensive philosophical account of consciousness that effectively integrates mental representation, neural functionality, and the phenomenology of self-awareness, or whether each theoretical stance is inevitably constrained by its own methodological and empirical limits. The study pursues four interrelated objectives: to analyze and compare major philosophical theories of consciousness; to evaluate the explanatory strengths and weaknesses of functionalist and representational accounts; to investigate the contribution of biological naturalism without reducing consciousness to mere physical interactions; and to propose a synthetic model that unifies these perspectives within an expanded naturalistic framework.

Employing a critical-analytic and synthetic methodology, the study examines core philosophical constructs—representation, functional role, selfhood, and qualia—while conducting a comparative analysis of the work of prominent theorists, including David Chalmers, Daniel Dennett, Antonio Damasio, Dan Zahavi, and Ned Block. Primary sources span seminal contributions to the philosophy of mind, encompassing property dualism, advanced functionalism, neurobiological models of consciousness, and phenomenological approaches to self-awareness. This dual engagement with philosophical reasoning and empirical research enables the construction of a theoretically robust and interdisciplinary framework.

The study is structured into five main chapters: a philosophical background to the problem of consciousness; an examination of functionalism and its explanatory scope; an analysis of biological naturalism; an exploration of mental representation and self-awareness; and a concluding synthesis proposing an integrative model. The conclusion presents the principal findings and delineates open questions for future inquiry. Beyond its theoretical contributions, the study offers applied significance by advancing the understanding of altered states of consciousness—such as dreaming, meditative states, and pathological disruptions—thereby providing conceptual tools of relevance.

Keywords: to psychiatry, cognitive neuroscience, and artificial intelligence research

المقدمة:

شهدت فلسفة العقل في العقود الأخيرة تحولات كبيرة في معالجة مسألة الوعي، بعد أن كانت تعدّ من أكثر الموضوعات استعصاءً على التفسير العقلي والعلمي. وقد أفرزت هذه التحولات مقاربات متعددة، أبرزها المقاربة الوظيفية التي فسرت الظواهر العقلية من حيث أدوارها ووظائفها، والمقاربة التمثيلية التي نظرت إلى الوعي من زاوية محتواه التمثيلي في البنية المعرفية للفرد.

ويشكّل الوعي إحدى أكثر الظواهر تعقيداً في فلسفة العقل والعلوم المعرفية، إذ لا تزال أسئلته الأساسية دون إجابات حاسمة، مثل: ما طبيعة الوعي؟ هل هو ظاهرة فيزيائية؟ أم حالة عقلية تمثيلية؟ أم تجربة ذاتية خارجة عن التفسير المادي؟ وقد ظهرت في العقود الأخيرة العديد من المقاربات لفهم هذه الظاهرة، أهمها: النظرية الوظيفية، والتمثيلية، والطبيعية البيولوجية، والنظريات الفينومينولوجية للوعي الذاتي. ورغم ما تقدمه هذه النظريات من زوايا فهم مختلفة، إلا أن كلاً منها يعاني من قصور في تفسير جوانب معينة من الوعي.

لكن إشكاليات الوعي لا تقف عند التفسير الوظيفي أو التمثيلي، بل تتعداها إلى سؤال أعمق يتعلق بإمكان ردّ الوعي إلى أسس طبيعية أو بيولوجية، وما إذا كانت الحالات الواعية يمكن أن تُفسّر تفسيراً مادياً بحثاً. كما أثارت المفاهيم المتعلقة بالوعي الذاتي قضايا فلسفية دقيقة تتعلق بالإدراك من الداخل، والتمييز بين التجربة الواعية والعمليات المعرفية غير الواعية.

إشكالية الدراسة

تدور إشكالية البحث الأساسية حول السؤال الآتي:

هل يمكن بناء تصور فلسفي متكامل للوعي يوازن بين التمثيل العقلي، والوظيفية العصبية، والوعي الذاتي؟ أم أن كل مقاربة تظل محكومة بحدودها النظرية والتجريبية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

- ما حدود المقاربة الوظيفية والتمثيلية في تفسير التجربة الذاتية؟
- كيف تُسهم الطبيعة البيولوجية في تكوين الوعي دون اختزاله إلى تفاعلات فيزيائية؟
- ما الذي يميز الوعي الذاتي من حيث طبيعته وظيفياً أو ظاهراتياً؟
- ما مدى إمكانية بناء نموذج تركيبى للوعي يجمع بين الفلسفة والعلوم العصبية؟

أهمية الدراسة:

ومن هنا تتبع أهمية هذه الدراسة في تقديم تحليل نقدي تركيبى يوازن بين هذه النماذج، ويعيد طرح الوعي بوصفه ظاهرة مركبة تتطلب تكاملاً بين البعدين العصبي والظاهراتي، وبين النظر العقلي والتمثيل الإدراكي. ويمكن عرض ذلك على النحو التالي:

١. أهمية معرفية: تسهم الدراسة في توسيع أفق البحث الفلسفي حول الوعي، من خلال تحليل نقدي لأبرز نظرياته.
٢. أهمية علمية: تقترح الدراسة نموذجاً تركيبياً للوعي، يجمع بين البنية العصبية، والتمثيل العقلي، والتجربة الذاتية.
٣. أهمية تطبيقية: تساعد نتائج البحث في فهم حالات الوعي المعدلة (كالأحلام، التأمل، اضطرابات الوعي)، بما يفيد مجالات الطب النفسي والذكاء الاصطناعي.

أهداف الدراسة:

ويهدف هذا البحث إلى تحليل هذه التيارات الفكرية المختلفة مثل النظرية الوظيفية، والتمثيلية، والطبيعية البيولوجية، والنظريات الفينومينولوجية للوعي الذاتي، ومقارنة مدى قدرتها على تقديم تفسير فلسفي متماسك لظاهرة الوعي، مع تسليط الضوء على التحديات النظرية التي تواجه كل اتجاه، واستكشاف إمكان بناء نموذج تركيبى

يجمع بين الوظيفية والتمثيل في إطار طبيعي بيولوجي موسّع. ويمكن عرض ذلك على النحو التالي:

- ١- عرض وتحليل أبرز النظريات الفلسفية حول الوعي.
- ٢- نقد أوجه القوة والقصور في النظريات التمثيلية والوظيفية.
- ٣- استكشاف العلاقة بين الطبيعة البيولوجية والتجربة الوعية.
- ٤- اقتراح نموذج تركيبى يدمج الجوانب المختلفة للوعي.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهج تحليلي تركيبى نقدي:

- التحليل الفلسفي لمفاهيم التمثيل، الوظيفة، الذات، الكواليا.
- المقارنة النقدية بين النظريات المختلفة (Chalmers)، Block، Dennett، Damasio، (Zahavi. . .).
- التركيب النظري لبناء رؤية فلسفية متكاملة حول الوعي.

الدراسات السابقة:

1- Chalmers, David J. *The Conscious Mind* (1996)

قدم رؤية ثنائية الخصائص للوعي، وطرح التمييز بين المشكلات "السهلة" و"الصعبة" للوعي، مشيرًا إلى أن التمثيل والوظيفة لا يكفيان لتفسير الكواليا.

2- Dennett, Daniel C. *Consciousness Explained* (1991)

قدّم نظرية وظيفية متقدمة تنفي الكواليا وتعيد تفسير الوعي كنتاج عمليات عقلية لامركزية (multiple drafts).

3- Damasio, Antonio. *The Feeling of What Happens* (1999)

ركّز على الطبيعة العصبية للوعي، وربط بين المشاعر الجسدية وتكوين

الذات، لكنه لم يعالج الجوانب الفينومينولوجية للوعي الذاتي.

4. Zahavi, Dan. *Self-Awareness and Alterity* (1999)

قدّم مقارنة فينومينولوجية متقدمة لوعي الذات، مؤكداً أن الوعي متضمن للذاتية في بنيته، لكنه افتقر للربط بالتجريب العصبي.

5. Block, Ned. *Concepts of Consciousness* (1995)

فرّق بين الوعي النفسي (access consciousness) والوعي الظاهراتي (phenomenal consciousness)، مشدداً على أن الأخير لا يُختزل في الوظيفة أو التمثيل.

خطة البحث:

المقدمة:

- أهمية موضوع الوعي في فلسفة العقل المعاصرة
- دواعي اختيار الموضوع وحدود البحث ومنهجيته
- المبحث الأول - الخلفية الفلسفية لمشكلة الوعي.
- أولاً - تطور الوعي كإشكالية فلسفية من ديكارت إلى تشالمرز.
- ثانياً - مفهوم الوعي وأنواعه (الظاهري، الذاتي، الميتاوعي، حالات الوعي).
- ثالثاً - الفجوة التفسيرية والإشكاليات المعرفية المرتبطة بالوعي.

المبحث الثاني - النظرية الوظيفية وتفسير الوعي.

- أولاً - المبادئ الأساسية للوظيفية في فلسفة العقل.
- ثانياً - تطبيقات الوظيفية على تفسير الوعي.
- ثالثاً - نقد الفهم الوظيفي (حجة الزومبي، الحجة الصينية، غياب الكواليا).

المبحث الثالث - الطبيعة البيولوجية والوعي.

- أولاً- الاتجاه المادي الجديد ونماذج الطبيعة العصبية للوعي.
- ثانياً- النظريات البيولوجية (أنطونيو داماسيو، إدلمان، وغيرهم)
- ثالثاً- حدود التفسير البيولوجي: هل يمكن تفسير الكواليا مادياً؟

المبحث الرابع - التمثيل العقلي والوعي الذاتي.

- أولاً: نظريات التمثيل في فلسفة العقل (التمثيل الذاتي، التمثيل من الدرجة الأولى والثانية).
- ثانياً: الوعي الذاتي كحالة معرفية خاصة (التمييز بين الذات والآخر، حالات التأمل الواعي).
- ثالثاً: إشكاليات التمثيل: هل التمثيل كافٍ لتفسير الوعي الذاتي؟

الفصل الخامس - نحو نموذج تركيبى لفهم الوعي.

- أولاً- مبررات الحاجة إلى نموذج تركيبى.
- ثانياً- إمكانية التوفيق بين الوظيفة والتمثيل ضمن نموذج طبيعى.
- ثالثاً- آفاق فلسفية وعلمية مستقبلية لفهم الوعي.

الخاتمة

- أهم النتائج المتوصل إليها، وتوصيات البحث وأسئلته المفتوحة

المبحث الأول

الخلفية الفلسفية لمشكلة الوعي

أولاً- تطور الوعي كإشكالية فلسفية:

ظلّ الوعي محوراً فلسفياً مركزياً منذ العصور القديمة، لكنه اكتسب بعداً جديداً مع الفلسفة الحديثة، لا سيما في أعمال ديكارت الذي رأى أن الوعي هو ما يُعرّف الذات، من خلال مقولته الشهيرة "أنا أفكر، إذن أنا موجود" ^(١) وقد ميّز ديكارت بين "الجوهر الممتد" (الجسد) و"الجوهر المفكر" (العقل)، مطلقاً بذلك الثنائية الديكارتية التي أثّرت طويلاً على الفكر الغربي. غير أن هذه الثنائية واجهت تحديات مع الفلسفة التحليلية والعلوم المعرفية الحديثة، إذ بدأت المقاربات المعاصرة تتحو نحو تفسير مادي أو وظيفي للوعي، مدفوعة بتطور علم الأعصاب. ومع ذلك، ما زال "الوعي" عصياً على التفسير الكامل. وقد أطلق عليه ديفيد تشالمرز تسمية "المشكلة الصعبة للوعي" (*The Hard Problem of Consciousness*) لتمييزها عن المشكلات "السهلة" التي تتعلق بالوظائف العقلية القابلة للملاحظة أو التفسير العصبي ^(٢)

إن الإشكال المحوري يكمن في تفسير الكيفيات الذاتية (Qualia)؛ تلك الجوانب التي "يبدو" أن تكون عليها التجربة الواعية. وقد تساءل توماس نيجل في مقاله الشهير "What is it Like to Be a Bat؟" : هل يمكن للكائن البشري أن يفهم حقاً "ما يبدو أن يكون وطواطاً؟" أو كيف يكون شعورك أن تكون وطواطاً؟ وهل يمكن للإنسان أن يفهم حقاً شعور الوطواط أو تجربته الذاتية؟ ويُعد مقال توماس نيجل لحظة محورية في فلسفة العقل، حيث يُنتقد فيه اختزال الوعي في التفسيرات الموضوعية المادية. يرى نيجل أن هناك بُعداً ذاتياً للوعي لا يمكن الوصول إليه من منظور موضوعي بحت، وهو ما يسميه "الذاتية الجوهرية" للتجربة. ويرى أن أي كائن حي يمتلك وعياً، فثمة "شيء يشبه أن يكون ذلك الكائن"؛ وهذا "الشيء" هو جوهر التجربة الذاتية، والذي لا يمكن تمثيله بالكامل عبر المفاهيم العلمية أو المادية. ^(٣)

وينتقد نيجل التوجهات الاختزالية التي ترى أن العقل يمكن تفسيره تمامًا من خلال الفيزياء أو علم الأعصاب. ويؤكد أن هذه المقاربات، رغم ما تحققه من تقدم علمي، إلا أنها تفشل في نقل أو احتواء "الوجهة الداخلية للتجربة. ولذلك، فإن أي محاولة لاختزال الوعي إلى عمليات مادية ستكون ناقصة طالما لم تستطع النفاذ إلى منظور الكائن ذاته. ويختار نيجل "الوطواط" كمثال على حدود الموضوعية؛ لأنه كائن يمتلك جهازًا إدراكيًا مختلفًا تمامًا عن الإنسان، كاستخدامه لتقنية الصدى الصوتي. وهو بذلك يسعى إلى إظهار أن فهم تجربة كائن من نوع مختلف لا يمكن تحقيقه من خلال المعرفة الموضوعية فقط، لأن التجربة التي يعيشها الوطواط لا يمكن تصورها إلا إذا كنا "نعيشها" من الداخل. وبالتالي، فإن نقل هذه التجربة إلى حقل العلوم الطبيعية يفقدها عنصرها الأساسي: الذاتية. (٤)

ويُفضي نيجل إلى نتيجة أن أي تفسير للوعي يتجاهل الطابع الذاتي للتجربة هو تفسير قاصر. وهذا يقود إلى الاعتراف بوجود فجوة معرفية بين التفسيرات الموضوعية للواقع والتجربة المعاشة للكائنات الواعية. ومع أن نيجل لا يقدم نظرية بديلة، إلا أنه يؤكد أن النظريات التي لا تعالج هذه الفجوة تظل غير مكتملة فلسفيًا. (٥)

ترى الباحثة أن الوعي يظل إحدى أعقد الإشكاليات الفلسفية التي استعصت على الحسم، رغم التقدم الهائل في الفلسفة التحليلية وعلوم الأعصاب. فالثنائية الديكارتية، وإن كانت نقطة انطلاق أساسية لفهم العلاقة بين العقل والجسد، إلا أنها فتحت الباب أمام إشكالات عميقة لم تُحل بعد. كما أن نقد توماس نيجل للاختزال المادي يكشف عن بُعد جوهري في الوعي - وهو البعد الذاتي للتجربة - الذي لا يمكن تجاوزه أو إلغاؤه بالمقاربات العلمية البحتة. من هذا المنطلق، يميل الباحث إلى تبني موقف نقدي تجاه أي نظرية تستبعد المنظور الداخلي للتجربة الواعية. فالوعي ليس مجرد عملية مادية أو عصبية يمكن اختزالها، بل يحمل بعدًا ذاتيًا فريدًا. و"المشكلة

الصعبة" للوعي، كما صاغها تشالمرز، تكمن في تفسير الكيفيات الذاتية (Qualia) التي تظل خارج نطاق التفسير العلمي الخالص. ومثال نيجل عن "الوطواط" يبرهن على وجود فجوة معرفية بين التفسير الموضوعي والواقع المعاش للكائنات الواعية. أي نظرية للوعي تتجاهل البعد الذاتي للتجربة ستظل فلسفيًا غير مكتملة، حتى وإن حققت نجاحًا علميًا. والحاجة قائمة لتطوير نماذج تفسيرية جديدة تمزج بين المعطيات العلمية والاعتبارات الفينومينولوجية لفهم الوعي بشكل أشمل.

ثانيًا - مفهوم الوعي وأنواعه:

يرتبط مفهوم الوعي أساسًا بحالة الإدراك أو الانتباه الذاتي أو البيئي، وهو ما يُسمى بالوعي الظاهري أو *Phenomenal Consciousness*. وقد صاغ نيد بلوك تمييزًا مهمًا بين نوعين من الوعي:

- الوعي الظاهري: ما "يشعر" به الفرد.
- الوعي التنفيذي (*Access Consciousness*): ما يستطيع الفرد استخدامه في التقرير والسلوك^(٦)، وقد وسّع بعض الباحثين التصنيف ليشمل:
- الوعي الذاتي (*Self-consciousness*): إدراك الذات كفاعل مستقل^(٧).
- الميتاوعي (*Meta-consciousness*): وعي الفرد بأنه واعٍ^(٨).
- حالات الوعي: مثل النوم، الحلم، الغيبوبة، التأمل، وهي تختلف في درجة الإدراك والتفاعل^(٩) من هنا، يظهر أن "الوعي" ليس ظاهرة بسيطة أو مفردة، بل مجموعة من الظواهر المتداخلة معرفيًا وبيولوجيًا.

وتذهب الباحثة إلى أن الوعي ليس كيانًا أحادي البنية، بل هو منظومة متعددة الأبعاد تتراوح بين الإحساس المباشر بالتجربة (الوعي الظاهري) وبين القدرة على استخدام المعلومات في السلوك واتخاذ القرار (الوعي التنفيذي)، مع مستويات أكثر

تعقيداً كالوعي الذاتي والميتاوعي. هذا التنوع يعكس أن الوعي يتشكل عبر تداخل العمليات العصبية والمعرفية، ولا يمكن فهمه إلا من خلال منظور شامل يجمع بين البعد الفينومينولوجي (الخبرة المعاشة) والبعد الوظيفي (الاستخدام والسلوك).

فالتمييز الذي قدّمه نيد بلوك بين الوعي الظاهري والتنفيذي يوضح أن التجربة الواعية ليست مجرد محتوى معلوماتي، بل إحساس معيش يختلف عن القدرة على المعالجة أو التقرير. وإدراج مفاهيم مثل الوعي الذاتي والميتاوعي يفتح المجال لفهم أعمق للعلاقة بين الإنسان وذاته، وبين الخبرة الفردية والانتباه التأملي. وحالات الوعي المتغيرة (النوم، الحلم، الغيبوبة، التأمل) تُظهر أن الوعي ظاهرة ديناميكية تتأثر بالبنية العصبية والحالة الفيزيولوجية. وتعدد أشكال الوعي يشير إلى أن أي محاولة لتعريفه أو تفسيره تحتاج إلى إطار تكاملي يجمع بين المعطيات الفلسفية والعلمية.

ثالثاً - الفجوة التفسيرية وإشكاليات الوعي:

على الرغم من التقدّم الهائل في فهم الدماغ، فإن الفلاسفة والعلماء ما زالوا يواجهون الفجوة التفسيرية (*Explanatory Gap*) بين العمليات الفيزيائية والتجربة الواعية. حيث لا توجد طريقة مفهومية واضحة تُمكننا من "ردّ" الشعور الذاتي إلى العمليات الدماغية. أي أننا حتى لو عرفنا كل ما يمكن معرفته عن النشاط العصبي عند شخص يشرب القهوة، لن نعرف ما يشعر به فعلياً عند شربها. وقد عبّر ليفين (Joseph Levine) عن ذلك قائلاً: "لا يمكن الجسر بين المعرفة الموضوعية بالدماغ وبين الإحساس الذاتي".^(١٠) فهذه العبارة تلخص جوهر إشكالية الوعي في الفلسفة الحديثة. فهي تشير إلى أن هناك بُعداً في التجربة الإنسانية لا يمكن استيعابه بالكامل عبر أدوات العلم المادي، مما يجعل الوعي أحد أكثر الألغاز استعصاءً على الحل. وتطرح عدة حجج فلسفية هذه الفجوة بوضوح، منها:

١- الزومبي الفلسفي: تخيل كائن مطابق تمامًا للإنسان في بنيته وسلوكه، لكنه بلا تجربة واعية. وهذا يعني أن الوظيفة ليست كافية لتفسير الوعي^(١١)

٢- حجة الكواليا: مثل تجربة رؤية اللون الأحمر، التي لا يمكن اختزالها إلى معلومات فيزيائية.^(١٢)

٣- تجربة ماري: طرحتها فرانك جاكسون، وتتعلق بعالمية تعرف كل شيء عن اللون ولكنها لم تره. حين تراه لأول مرة، تكتسب معلومة جديدة، ما يدل على أن المعرفة المادية ليست كافية^(١٣).

٤- إشكالية العلاقة بين الذات والدماغ: كيف يمكن أن تنتج المادة غير الواعية (الخلايا العصبية) تجربة ذاتية واعية؟ هل الوعي "طارئ" (Emergent) أم "أصلي" في الطبيعة . (Panpsychism)؟^(١٤)

ترى الباحثة أن "الفجوة التفسيرية" تمثل جوهر معضلة الوعي في الفلسفة والعلم المعاصر، إذ تكشف عن حدود المقاربات المادية البحتة في تفسير الخبرة الذاتية. فرغم التقدم في علم الأعصاب وقدرته على رسم خريطة دقيقة للنشاط الدماغي، يبقى السؤال الجوهرى بلا إجابة: كيف تتحول العمليات الفيزيائية البحتة إلى إحساس ذاتي معيش؟ وتؤكد الباحثة أن الطروحات الفلسفية، مثل الزومبي الفلسفي وحجة الكواليا وتجربة ماري، ليست مجرد تمرينات ذهنية، بل أدوات نقدية تكشف عن قصور التفسير الوظيفي والمادي في احتواء البعد الكيفي للتجربة. ومن هنا، تذهب الباحثة إلى أن أي إطار نظري متكامل لفهم الوعي يجب أن يوازن بين المعطيات التجريبية والتأملات الميتافيزيقية.

فالفجوة التفسيرية ليست مجرد مشكلة تقنية، بل إشكال مفهومي يمس طبيعة العلاقة بين المادة والعقل. والأمثلة الفلسفية (الزومبي، الكواليا، ماري) تبرهن أن

المعرفة المادية الكاملة لا تستلزم بالضرورة الفهم الكامل للتجربة الواعية. والنقاش حول ما إذا كان الوعي "طارئًا" أم "أصليًا" يعكس تباينًا عميقًا في الرؤية الفلسفية لطبيعة الواقع. وفشل المقاربات المادية الصرفة في سد الفجوة يدعو إلى تبني مناهج هجينة تدمج بين العلوم العصبية والفلسفة النظرية. والبحث المستقبلي في الوعي يحتاج إلى تجاوز اختزال التجربة في الوظائف البيولوجية، والانفتاح على احتمالات نظرية أوسع مثل الطبيعة البيولوجية أو التمثيل العقلي أو حتى التصورات الشمولية (Panpsychism). فهذا البحث يعبر عن مدى تعقيد مشكلة الوعي في الفلسفة والعلم، ويُظهر أن المحاولات التفسيرية حتى الآن - رغم تنوعها - ما زالت عاجزة عن سد الفجوة بين البنية العصبية والتجربة الذاتية. وهو ما يدعو إلى مزيد من البحث في النظريات المختلفة، كالنظرية الوظيفية، والطبيعة البيولوجية، والتمثيل العقلي، وهي موضوعات الفصول اللاحقة.

المبحث الثاني

النظرية الوظيفية وتفسير الوعي

أولاً: المبادئ الأساسية للنظرية الوظيفية في فلسفة العقل

تُعدّ الوظيفية (Functionalism) من أبرز النظريات في فلسفة العقل المعاصرة، وقد ظهرت كردّ فعل على الفهم المادي الصرف الذي حاول ردّ الظواهر العقلية إلى حالات دماغية مادية بحتة. ترى الوظيفية أن ما يُحدد الحالة العقلية ليس مادتها أو بنيتها الفيزيائية، بل وظيفتها داخل النظام المعرفي للكائن: أي العلاقات السببية التي تربط المدخلات الحسية، بالحالات الداخلية، بالمرجات السلوكية. (١٥)

بدأت الفكرة تتبلور في أعمال هيلاري بوتنام وهيربرت فيغل، ثم تطورت في أعمال دانييل دينيت وجيري فودور، حيث تمثل العقل باعتباره برنامجاً يعمل فوق عتاد بيولوجي أو آلي. وهذا ما جعل الوظيفية جاذبة لعلماء الحوسبة والذكاء الاصطناعي، إذ أتاحت تصوّر الوعي بوصفه "قابلاً للمحاكاة الوظيفية لا تتكر أن الوعي له مكونات فيزيائية، لكنها تؤكد أن ما يجعل "الحالة" عقلية هو دورها الوظيفي في النظام ككل، وليس جوهرها المادي. فالألم، مثلاً، هو كل حالة داخلية تؤدي إلى الصراخ أو الانسحاب أو إدراك الضرر، أيًا كان تركيبها. (١٦)

ترى الباحثة أن النظرية الوظيفية قدّمت تحولاً جوهرياً في فلسفة العقل من التركيز على البنية المادية إلى التركيز على الدور الوظيفي للحالات العقلية ضمن النظام الكلي للكائن. فهي لا تتكر الأساس الفيزيائي للعقل، لكنها ترفض أن يكون هذا الأساس هو المحدد الوحيد لهويته، بل تعتبر أن العلاقات السببية بين المدخلات والمرجات والحالات الداخلية هي ما يمنح الظواهر العقلية معناها. ويجد الباحث أن هذا الإطار النظري أسهم في تعزيز المقاربات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي لفهم الوعي، نظراً لإمكانية محاكاة الوظائف العقلية دون الحاجة إلى محاكاة البنية البيولوجية

ذاتها. فالوظيفية تميز بين "المحتوى المادي" للحالة العقلية و"دورها الوظيفي"، معتبرة الأخير جوهر تحديد الهوية العقلية. ونشأت كرد فعل على الاختزال المادي، مقدمة منظوراً أوسع يتيح دراسة الوعي دون التقيّد بالبنية الفيزيائية. وأسهمت في ربط فلسفة العقل بتطورات الحوسبة والذكاء الاصطناعي، إذ وفرت أساساً نظرياً لفكرة محاكاة الوعي. والأمثلة مثل "الألم" توضّح أن ما يحدد الحالة العقلية هو وظيفتها وتأثيرها في السلوك، لا مادتها المكونة. وتظل الوظيفية قوية في قدرتها التفسيرية، لكنها تواجه تحديات عند التعامل مع البعد الكيفي للتجربة الواعية (Qualia)، وهو ما قد يستدعي تكاملها مع نظريات أخرى.

ثانيًا - تطبيقات الوظيفية على تفسير الوعي:

سعت الوظيفية إلى تفسير ظاهرة الوعي من خلال نماذج معرفية قابلة للتحليل، وقد طبّقت هذه الفكرة في علوم الإدراك، وظهرت نماذج شهيرة مثل:

• نظرية الوعي كوظيفة تنفيذية عليا:

ترى أن الوعي هو ما يتيح الوصول إلى المعلومات من أجل التخطيط، والانتباه، واتخاذ القرار، حيث ترى أن الوعي لا يُمثل حالة إدراكية منعزلة أو ميتافيزيقية، بل هو آلية معرفية عليا تسهم في التحكم في العمليات العقلية الأخرى، كالذاكرة، والانتباه، واتخاذ القرار، والتخطيط المستقبلي. ^(١٧) ويرى باوميزتر وميزر (Baumeister & Masicampo) أن الوعي يعمل كحلقة تحكم مركزية تتيح للإنسان التفكير في خيارات متعددة، وتقييم العواقب، وتشكيل نوايا معقدة، وهي مهام لا يمكن إتمامها بمجرد المعالجة اللاواعية. ويؤكدان أن "الوظيفة الأساسية للوعي تكمن في تسهيل عمليات التحكم التنفيذي مثل ضبط النفس، التخطيط، واتخاذ القرارات" ^(١٨)

أما مايكل غازانيجا (Michael Gazzaniga)، في إطار أبحاثه في علم الأعصاب المعرفي، فيوضح أن الوعي ليس كيانًا قائمًا بذاته بل هو وظيفة "منبثقة" من

التفاعلات بين مناطق الدماغ المختلفة، وخاصة الفص الجبهي، الذي يُعد مركز العمليات التنفيذية. ويذهب إلى أن "الوعي يوفر إطارًا زمنيًا متكاملًا يسمح بالتخطيط والتنظيم والاختيار الواعي بين بدائل متعددة" (١٩)

وتدعم أبحاث علم الأعصاب الوظيفي هذه الرؤية، فقد بيّنت دراسات التصوير العصبي أن مناطق الفص الجبهي الأمامي (prefrontal cortex) والنظام الشبكي المنشط (reticular activating system) تلعب دورًا أساسيًا في التأزر بين الانتباه الواعي واتخاذ القرار ولذلك، فإن الوعي لا يُنظر إليه كمجرد إدراك سلبي للبيئة، بل كوظيفة عليا ضرورية للتنظيم العقلي والسلوكي. (٢٠)

ترى الباحثة أن نظرية الوعي كوظيفة تنفيذية عليا تقدم إطارًا عمليًا لفهم الوعي بوصفه آلية معرفية متقدمة تُنسّق العمليات العقلية المختلفة، ولا تُختزل في كونها مجرد حالة إدراكية أو ظاهرة ميتافيزيقية. فالوعي، من هذا المنظور، هو مركز تحكم إدراكي يتيح التخطيط، وضبط السلوك، واتخاذ القرارات المعقدة، ويعتمد في ذلك على التفاعلات بين مناطق دماغية متعددة، خاصة الفص الجبهي. وتؤكد الباحثة أن هذا التصور مدعوم بالأدلة التجريبية من علم الأعصاب، مما يمنحه قوة تفسيرية وعملية في الربط بين النظرية والبحث المخبري. فالوعي يُفهم هنا باعتباره وظيفة تنظيمية عليا تتيح دمج المعلومات، وتوجيه الانتباه، وتخطيط الأفعال. والطرح الذي قدّمه باوميزتر وميزر يركز على دور الوعي في ضبط النفس، وتشكيل النوايا، وتقييم البدائل. ورؤية غازانيجا تُبرز الطبيعة "المنبثقة" للوعي كنتيجة للتكامل بين مناطق الدماغ، خاصة الفص الجبهي. والدراسات العصبية تدعم هذا الإطار النظري، إذ تربط الوعي بوظائف الفص الجبهي الأمامي والنظام الشبكي المنشط. فهذا النموذج يعزز الجانب التطبيقي لفهم الوعي، لكنه قد لا يفسر بالكامل البعد الكيفي للتجربة الذاتية (Qualia)، مما يترك المجال مفتوحًا للتكامل مع نظريات أخرى.

نظرية الفضاء العالمي للوعي (Global Workspace Theory):

قدمها بيرنارد بارس، وتؤكد أن الوعي هو محتوى المعلومات الذي يتم بثه إلى كافة أجزاء الدماغ لاستخدامه بشكل موحد، وقد طورها عالم الأعصاب المعرفي بيرنارد بارس (Bernard Baars) في ثمانينيات القرن العشرين. تنطلق النظرية من تشبيه العقل بـ"مسرح ذهني" (theater metaphor)، حيث يكون الوعي هو "الضوء الكاشف" الذي يُسلط على بعض المعلومات لتصبح متاحة لكل الأنظمة المعرفية الأخرى في الدماغ. (٢١)

ويؤكد بارس أن الدماغ يحتوي على عدد كبير من المعالجات المتخصصة التي تعمل بصورة لاواعية، ولكن عندما تحتاج إحدى هذه المعالجات إلى مشاركة نتائجها مع بقية النظام العصبي لأغراض التخطيط أو اتخاذ القرار أو اللغة، فإن تلك المعلومات تُبث عبر ما يسميه "الفضاء العالمي" أو "مساحة العمل العالمية" (global workspace). هذه المساحة تشبه نظام بث مركزي يتم من خلاله نقل المعلومات الواعية إلى كافة الأنظمة العصبية ذات الصلة، مثل النظام التنفيذي، والذاكرة العاملة، والمعالجة اللغوية، والانتباه الإرادي. (٢٢)

ويعرف بارس هذا الفضاء بأنه "بث معرفي" (cognitive broadcasting) يجعل من الممكن تحقيق التكامل بين العمليات العقلية المتفرقة، موضحاً أن "الوعي يشبه نشر المعلومات إلى جمهور من الأنظمة العصبية المتخصصة" وبالتالي، فالوعي في هذه النظرية لا يرتبط بمكان واحد في الدماغ، بل هو وظيفة توزيع وتكامل. (٢٣)

وقد دعمت أبحاث التصوير العصبي الحديث هذه النظرية، حيث أظهرت تجارب باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) أن الحالات الواعية ترتبط بتنشيط واسع النطاق يشمل الفصوص الجبهية والجدارية والزمانية، وهو ما يُسمى بـ "الاشتعال العصبي العالمي" (Dehaene) (global neuronal ignition). وهذا يعزز الفرضية القائلة بأن الوعي لا يحدث محلياً بل هو عملية دماغية واسعة النطاق. (٢٤)

وتُعتبر نظرية الفضاء العالمي نموذجًا رائدًا في الجمع بين الطابع البيولوجي للدماغ والطابع الوظيفي للوعي، حيث يرى بارس أن "الوعي هو الأسلوب الذي يتيح لنا استخدام مواردنا العقلية على نطاق واسع ومنسق" (٢٥)

ترى الباحثة أن نظرية الفضاء العالمي للوعي التي طورها بيرنارد بارس تمثل أحد النماذج الرائدة في الربط بين الأساس البيولوجي للدماغ والوظيفة المعرفية للوعي. فهي تقدم تصورًا ديناميكيًا للوعي كعملية "بث معرفي" تسمح بدمج المعلومات ومعالجتها على نطاق واسع، بما يضمن تفاعل الأنظمة المعرفية المختلفة بكفاءة. ويجد الباحث أن قوة هذه النظرية تكمن في قدرتها على تفسير كيف يمكن للوعي أن يكون أداة للتكامل بين عمليات إدراكية متفرقة، وأنها مدعومة بالأدلة التجريبية من دراسات التصوير العصبي التي أظهرت الارتباط بين الحالات الواعية والتنشيط الواسع النطاق في الدماغ. فالوعي، وفق هذه النظرية، ليس موضوعًا ثابتًا في الدماغ بل وظيفة توزيع وتكامل للمعلومات بين الأنظمة العصبية. واستعارة "المسرح الذهني" توضّح كيف يعمل الوعي كضوء كاشف يسلط على المعلومات المهمة لجعلها متاحة للجمهور العصبي. وآلية "البث المعرفي" تفسر قدرة الوعي على توحيد عمليات مثل التخطيط، اللغة، والانتباه في إطار متكامل. وأبحاث fMRI ودراسة مفهوم "الاشتعال العصبي العالمي" تقدم دعمًا تجريبيًا قويًا لهذا النموذج. والنظرية تجمع بين المكونات البيولوجية والوظيفية، ما يجعلها مرشحًا مهمًا لتفسير بعض أبعاد الوعي، رغم أنها لا تحسم الجدل حول البعد الكيفي للتجربة الذاتية (Qualia).

• دينيت والوعي كمجرد تفسير سردي:

يرى دانييل دينيت أن الوعي لا ينبغي النظر إليه ككيان مادي أو جوهري قائم بذاته، بل كـ"سرد داخلي" تبنيه الذات بشكل متواصل لتفسير العمليات العقلية التي تحدث في الدماغ. فبدلًا من البحث عن "مكان" معين في الدماغ حيث يسكن الوعي، يقدّم دينيت ما يسميه بـ"نموذج مركز الرواية" (The Narrative Center of)

(Gravity)، وهو نموذج مجازي يشبه الوعي بوهـم السرد الذي يخلقه العقل ليمنح أفعاله واستجاباته معنى موحداً ومنسجماً. (٢٦)

بهذا المعنى، لا يرى دينيت أن الوعي عملية جوهرية أو خاصة، بل هو نتيجة التفاعل بين أنظمة فرعية متعددة في الدماغ تتنافس وتتعاون على "بث" محتواها في ما يشبه فضاءً مشتركاً (global workspace)، ولكن من دون وجود "مسرح مركزي" يجمع كل شيء. وهذا يفضي إلى أن الوعي ليس أكثر من نوع من التفسير السردى متعدد المنظورات. كما يرفض دينيت الفكرة القائلة بأن هناك "مراقباً داخلياً" يشاهد أو يختبر الحالات العقلية من الداخل، بل يراها مجرد أوهام ينتجها الدماغ بشكل تطوري من خلال محاولته تنظيم النشاطات الإدراكية والمعرفية في صورة قصة مفهومة. ومن ثم، فإن ما نطلق عليه "الوعي" هو، وفقاً لدينيت، نتاج سردي تركيبى يتغير باستمرار، ويعتمد على القدرة اللغوية والتفسيرية للإنسان في تنظيم التجارب والذكريات والتوقعات، دون أن يتطلب وجود كيان مستقل يسمى "الذات الواعية". (٢٧)

وقد وجدت هذه النماذج صدى في علم النفس المعرفي وعلوم الأعصاب، لأن الوظائف مثل الانتباه واللغة والذاكرة تبدو حاسمة في التجربة الواعية.

يتعامل دينيت مع الوعي كنتاج سردي وليس كظاهرة جوهرية مستقلة، ما يمثل نقلة فكرية من البحث عن "جوهر" أو "مكان" للوعي إلى فهمه كبنية تفسيرية ديناميكية بينية الدماغ باستمرار. من منظور الباحث، قوة هذا الطرح تكمن في أنه يحرر دراسة الوعي من الأطر الميتافيزيقية الثقيلة، ويربطه مباشرة بالعمليات المعرفية الملموسة مثل اللغة، والذاكرة، والانتباه. لكنه في الوقت نفسه يثير جدلاً فلسفياً، إذ قد يُنظر إليه كإفراغ لمفهوم الوعي من بعده الكيفي (Qualia)، وتحويله إلى مجرد آلية تفسيرية وظيفية. فالوعي ليس كياناً مادياً أو مركزاً موحداً، بل سرد تركيبى متجدد بينية الدماغ لتنظيم التجارب. ونموذج "مركز الرواية" يفسر توحيد الخبرات المتفرقة دون الحاجة لفرض

"مراقب داخلي". ولا وجود لـ"مسرح مركزي" للوعي، بل تفاعل مستمر بين أنظمة فرعية متعددة. فاللغة والقدرة التفسيرية للإنسان تلعبان دورًا جوهريًا في تكوين هذا السرد. والطرح يجد دعمه في علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب، خاصة في دور الانتباه والذاكرة في بناء التجربة الواعية. فالنظرية تقدم تفسيرًا وظيفيًا قويًا، لكنها قد تواجه اعتراضات من أنصار الفهم الكيفي للوعي الذين يرون أن هذا الطرح لا يفسر "الإحساس الذاتي" بالكامل.

ثالثًا - نقد النظرية الوظيفية في تفسير الوعي

رغم القيمة التفسيرية العالية التي قدمتها الوظيفية، إلا أن عدة انتقادات فلسفية وعلمية وُجّهت ضد قدرتها على تفسير الوعي الظاهري والكواليا:

١- حجة الزومبي: وهي حجة تشالمرز ضد الوظيفية، وتقتضئ إمكانية وجود كائن وظيفي مطابق للإنسان تمامًا، لكن دون تجربة واعية. وهذا يدل على أن الوعي لا يتحدد بالوظيفة فقط، وتُعد حجة الزومبي الفلسفية إحدى أشهر الانتقادات التي وُجّهت إلى النظرية الوظيفية في تفسير الوعي، ويؤكد تشالمرز أن إمكانية تصور الزومبي من دون تناقض منطقي تعني أن الوعي لا يمكن تفسيره بالكامل بوصفه مجرد وظيفة من وظائف الدماغ، لأن الوظيفة وحدها لا تستلزم وجود الخبرة الشعورية. وهذا ما يجعله يميز بين "الحقائق السهلة" للوعي (مثل التمييز والمعالجة) و"الحقائق الصعبة" (the hard problem)، وهي تفسير كيف ولماذا تنشأ التجربة الذاتية. وبذلك، فإن حجة الزومبي تمثل نقضًا جذريًا للوظيفية الصارمة، لأنها تبين أن هناك بُعدًا نوعيًا في الوعي لا يمكن رده إلى الأداء السلوكي أو الآليات العصبية فقط، مما يفتح الباب أمام التفسيرات غير المادية للوعي، مثل الثنائية الخصائص أو النماذج التفسيرية الجديدة في علم الأعصاب والفلسفة. (٢٨)

٢- الحجة الصينية (جون سيرل) : قدّم الفيلسوف الأمريكي جون سيرل عام ١٩٨٠م واحدة من أشهر الحجج ضد الوظيفية ومعالجة الرموز، تُعرف بـ "حجة الحجة الصينية"، لبيان أن الأنظمة الحاسوبية التي تتبع تعليمات رمزية (مثل البرامج الحاسوبية) قد تبدو وكأنها تفهم اللغة أو تعي المعنى، لكنها في الحقيقة لا تفعل ذلك، لأن ما تقوم به هو مجرد معالجة شكلية للرموز من دون أي إدراك دلالي أو وعي. يتخيل سيرل نفسه داخل غرفة مغلقة، يتلقى رموزًا صينية عبر فتحة في الحائط، ويستخدم كتيب تعليمات باللغة الإنجليزية لمطابقة الرموز الصينية بردود مناسبة، ثم يرسل هذه الردود إلى خارج الغرفة. وبالرغم من أن سيرل لا يفهم الصينية على الإطلاق، فإن من في الخارج قد يظن أنه يتحدث الصينية بطلاقة. لكن الحقيقة أن سيرل لا يفهم ما يفعله، بل ينقذ تعليمات صورية فقط. (٢٩) ويرى سيرل أن هذه الحجة تبين قصور الأنظمة الحاسوبية (التي تعمل وفق قواعد تركيبية) عن تحقيق الفهم الدلالي الحقيقي، وهو جوهر الوعي البشري. وبالتالي، فإن مجرد تشابه السلوك الخارجي أو البنية الوظيفية لا يكفي لإثبات وجود الوعي أو الفهم لدى الأنظمة الاصطناعية. وبذلك، تتحدى الحجة الصينية الفرضيات الأساسية للنظرية الوظيفية، وخصوصًا في تطبيقاتها على الذكاء الاصطناعي القوي، مؤكدة أن الوعي لا يمكن اختزاله إلى سلوك أو وظيفة فقط، بل يتطلب وجود حالات داخلية واعية وفهمًا حقيقيًا للمعاني. وبذلك تظهر أن الأنظمة الوظيفية قد تتصرف "كما لو" أنها تفهم، دون أن يكون لديها إدراك حقيقي أو وعي بالمعنى (٣٠)

٣- غياب الكواليا: تواجه النظرية الوظيفية في فلسفة العقل انتقادًا واسعًا لكونها تُغفل أو تعجز عن تفسير الكواليا، وهي الخصائص الذاتية النوعية للتجربة الواعية، مثل مذاق القهوة، أو الألم، أو إدراك اللون الأحمر. تُعرّف الكواليا بأنها "ما يبدو عليه" الشعور من الداخل (what it is like)، وهي تجارب لا يمكن رصدها أو وصفها

بدقة من خلال الوظائف السلوكية أو العمليات العصبية فقط. ويؤكد العديد من الفلاسفة أن النماذج الوظيفية، مهما بلغت دقتها في وصف المدخلات والمخرجات والوظائف الوسيطة، لا تستطيع أن تفسر لماذا يشعر الإنسان بهذه التجربة تحديداً دون أخرى، أو لماذا يشعر أصلاً. يقول فرانك جاكسون في طرحه الشهير حول "ماري في الغرفة السوداء": "ووفقاً لهذا الرأي، فإن ماري - العالمة التي تعرف كل المعلومات الفيزيائية عن الألوان دون أن تراها - تكتسب معرفة جديدة بمجرد أن ترى اللون الأحمر فعلياً، ما يدل على أن الكواليا ليست جزءاً من المعلومات الوظيفية أو الفيزيائية، بل هي واقع نوعي مستقل لا يمكن اختزاله. (٣١) وبذلك، تُظهر إشكالية الكواليا أن الوعي يتضمن بُعداً ذاتياً داخلياً لا تُحيط به التفسيرات الوظيفية التي تعتمد فقط على العلاقات بين المدخلات والمخرجات أو الحالات الذهنية من منظور خارجي. (٣٢)

٤- الوعي الذاتي والتأمل: من أبرز التحديات التي تواجه النظرية الوظيفية في فلسفة العقل، عدم قدرتها على تفسير الوعي الذاتي (self-consciousness)، أي إدراك الفرد لذاته ككائن مستمر ومتميز عن العالم. فالوظيفية، بطبيعتها، تفسر العقل باعتباره شبكة من الحالات الإدراكية والوظيفية المرتبطة بمدخلات حسية ومخرجات سلوكية، لكنها تفشل في تفسير كيف تنشأ تجربة "الذات" الواعية بذاتها. يقول توماس نيجل في هذا السياق إن النظريات الموضوعية مثل الوظيفية تفشل في تفسير "ما يبدو عليه" أن يكون المرء هو نفسه. (٣٣) ويرى بعض الفلاسفة أن الوعي التأملي، أي قدرة الفرد على التفكير في أفكاره ومشاعره، لا يمكن تفسيره ضمن حدود النموذج الوظيفي الذي يفتقر إلى مفهوم الهوية الذاتية المستمرة. فبينما تستطيع النظرية الوظيفية وصف كيفية عمل نظام معين على استجابة لمحفزات، لا تفسر كيف يدرك ذلك النظام أنه هو نفسه من يستجيب. ويوضح ديفيد تشالمرز أن المسألة تتعلق ليس فقط بظهور الوعي، بل بإدراك الذات كذات. إن هذه الفجوة

بين التفسير الوظيفي والإدراك الذاتي المستمر تضعف قدرة الوظيفة على تقديم نظرية متكاملة للوعي، وتفتح الباب أمام النظريات التي تفترض وجود مستوى ميتا- معرفي أو "جوهر" للذات لا يمكن تفسيره وظيفيًا فقط. (٣٤)

وترى الباحثة أن الانتقادات الموجهة للنظرية الوظيفية تكشف عن فجوة واضحة بين قدرتها العالية على تفسير الجوانب السلوكية والمعرفية للوعي وبين عجزها عن معالجة البعد الكيفي والذاتي للتجربة. فحجة الزومبي، والحجّة الصينية، ومشكلة الكواليا، وإشكالية الوعي الذاتي، جميعها تضع حدودًا لما يمكن أن تحققه النماذج الوظيفية البحتة. من منظور الباحثة، هذه الانتقادات لا تنسف القيمة التفسيرية للوظيفية، لكنها تؤكد أنها غير كافية كنظرية شاملة للوعي، وأنها تحتاج إلى تكامل مع مقاربات أخرى - سواء من الفلسفة أو علم الأعصاب - تتناول ما يسمى بـ"المشكلة الصعبة" للوعي. فحجة الزومبي تُظهر أن التطابق الوظيفي لا يضمن وجود خبرة شعورية، ما يسلط الضوء على البعد الكيفي المستقل للتجربة. والحجّة الصينية تكشف أن المعالجة الشكلية للرموز لا تكفي لتحقيق الفهم الدلالي أو الوعي الحقيقي. ومشكلة الكواليا تؤكد أن الخصائص النوعية للتجربة (مثل الألم أو الألوان) لا يمكن اختزالها إلى علاقات وظيفية فقط. والوعي الذاتي والتأمل يطلان خارج الإطار التفسيري للوظيفية، التي لا تفسر بروز إحساس الفرد بهويته المستمرة. ومجمل هذه الانتقادات يدفع نحو تبني رؤية هجينة أو متعددة المستويات، تجمع بين الوظيفية والتحليلات الكيفية والميتافيزيقية.

المبحث الثالث الطبيعية البيولوجية والوعي

أولاً- الاتجاه المادي الجديد ونماذج الطبيعة العصبية للوعي

اتجه العديد من فلاسفة العقل المعاصرين وعلماء الأعصاب إلى تفسير الوعي من خلال الطبيعة البيولوجية للدماغ، مؤكدين أن الوعي هو ناتج وظيفة دماغية مركبة نابعة من النشاط العصبي. ويمثل هذا الاتجاه ما يُعرف بالفيزيائية البيولوجية (*Biological Naturalism*) التي دافع عنها جون سيرل، حيث يرى أن الوعي "خاصية بيولوجية من الدرجة الأولى، كالهضم أو التمثيل الغذائي" (٣٥)

لا يُنكر هذا الاتجاه التعقيد الظاهري للوعي، لكنه يرى أن التجربة الواعية تنشأ عن أنماط محددة من التفاعل العصبي، ضمن شبكات عصبية واسعة ذات تنظيم معقد.

يُعد أنطونيو داماسيو أحد أبرز المدافعين عن الطبيعة العصبية للوعي، مؤكداً أن الأنا الواعية تتشكل نتيجة تراكم تمثيلات الجسم في الدماغ، أي أن الشعور بالذات متجذر في الوظائف الجسدية العصبية (٣٦) وبالمثل، طوّر جيرالد إديلمان نظرية التكامل العصبي (*Neural Darwinism*) التي تفسّر الوعي من خلال المرونة التكيفية للخلايا العصبية وتفاعلها الديناميكي (٣٧)

وترى الباحثة أن الاتجاه المادي الجديد، وبخاصة النماذج ذات الطبيعة العصبية، يمثل محاولة لتجاوز قصور التفسيرات الوظيفية البحتة عبر ربط الوعي مباشرة بالبنية البيولوجية للدماغ. هذا الطرح يمنح الوعي أساساً مادياً ملموساً، لكنه يظل معنياً بتفسير "الآلية" أكثر من تفسير "الماهية" الكيفية للتجربة. من منظور الباحثة، قوة هذا الاتجاه تكمن في قدرته على الدمج بين المعطيات الفلسفية والدلائل العصبية التجريبية، إلا أنه لا يحل تماماً "المشكلة الصعبة" للوعي، بل يقرّ بها ضمناً. فالفيزيائية البيولوجية

(سيرل) ترى الوعي خاصية بيولوجية أساسية، تنشأ من النشاط العصبي المعقد مثل أي وظيفة حيوية أخرى. ونظرية داماسيو تؤكد أن الشعور بالذات متجذر في تمثيلات الجسم داخل الدماغ، ما يربط الوعي مباشرة بالعمليات الجسدية العصبية. ونظرية إديلمان (التكامل العصبي) تبرز دور المرونة العصبية والتفاعل الديناميكي بين الشبكات في توليد الوعي. وهذا الاتجاه يعزز التفسير التجريبي للوعي، لكنه يظل بحاجة إلى مقارنة تكاملية تُعالج البعد الذاتي للتجربة بجانب البنية العصبية.

ثانيًا: النظريات البيولوجية للوعي:

تُوجد عدة نظريات بيولوجية حاولت ربط النشاط العصبي بالحالات الواعية، من أبرزها:

١ - نظرية التماسك العصبي (Neural Synchrony Theory)

تُعد نظرية التماسك العصبي من أبرز النظريات المعاصرة التي تحاول تفسير نشأة الوعي، وهي تفترض أن الوعي ينبثق من تزامن النشاط العصبي (synchronous neural firing) بين مناطق متعددة من الدماغ، كالقشرة البصرية، الجدارية، والجبهية. يُعتبر هذا التزامن نوعًا من "الربط الزمني" الذي يوحد الإشارات العصبية المتفرقة في إدراك موحد وواعٍ. وقد كان من أوائل من طرح هذه النظرية العالم Wolf Singer وزملاؤه في دراساتهم حول القشرة البصرية للقطط والقروود. أظهرت هذه الدراسات أن إدراك الأجسام كوحدات متكاملة في المجال البصري يرتبط بتزامن إطلاق الخلايا العصبية التي تستجيب لملامح مختلفة من الجسم (مثل اللون والحركة والحواف)، حتى وإن كانت هذه الخلايا موزعة على مناطق مختلفة من الدماغ. هذا التزامن يحدث ضمن نطاق ترددات محددة (30-80 Hz)، ويُعرف باسم تزامن غاما (Gamma Synchrony) ^(٣٨) ويشير Singer إلى أن هذا التزامن لا يُمثل فقط آلية دمج إدراكي (perceptual binding)، بل قد يكون أيضًا الأساس العصبي للتجربة الواعية نفسها. فحين تصل الأنشطة العصبية المترامنة إلى مستوى معين من الاتساق

عبر الشبكة العصبية، يُصبح بمقدور الدماغ "الوصول" إلى تمثيل موحد للواقع، وهو ما يُشكل الوعي.^(٣٩) وقد دعمت دراسات باستخدام تقنيات EEG وMEG هذه الفرضية، حيث وُجد أن تزامن الإشارات في نطاق غاما يزداد بشكل ملحوظ خلال المهام الواعية التي تتطلب الانتباه والإدراك المتعدد الأبعاد. كما يُلاحظ ضعف هذا التزامن في حالات مثل النوم العميق أو الغيبوبة، وهو ما يُشير إلى علاقة وثيقة بين التزامن العصبي ودرجة الوعي.^(٤٠)

وترى الباحثة أن نظرية التماسك العصبي تمثل خطوة مهمة في الربط بين النشاط الكهربائي للدماغ والتجربة الواعية، لأنها تركز على "التوقيت" كعنصر أساسي في توليد الوعي، وليس فقط على "الموقع" أو "الشدة" في النشاط العصبي. من منظور الباحثة، قوة هذه النظرية تكمن في تفسيرها لآلية دمج المعلومات الحسية المتفرقة في إدراك موحد، وهو أمر ضروري لأي تجربة واعية. لكن، رغم الدعم التجريبي، ما زالت النظرية تواجه سؤالاً جوهرياً: هل التزامن العصبي سبب للوعي، أم أنه مجرد مؤشر على حدوثه؟ فالوعي قد يعتمد على التزامن الزمني لإطلاق الخلايا العصبية عبر مناطق متعددة من الدماغ. ونطاق تردد غاما (٣٠-٨٠ هرتز) يلعب دوراً محورياً في دمج الملامح الحسية في إدراك متكامل. والأدلة من EEG وMEG تدعم الارتباط بين التزامن العصبي وارتفاع مستوى الانتباه والإدراك. وانخفاض التزامن في حالات فقدان الوعي (مثل الغيبوبة) يعزز فرضية دوره الحيوي، لكنه لا يحسم كونه العامل السببي الرئيسي.

٢- نظرية المحور الثالامي - القشري (Thalamo-cortical Loop Theory)

تُشير هذه النظرية إلى أن الوعي يرتبط بشكل حاسم بالتفاعل الدائري بين المهاد (thalamus) والقشرة المخية، وهي حلقة حيوية تستمر بتغذية الإدراك الواعي وتنظيمه.^(٤١) وترى هذه النظرية أن الوعي لا ينبثق من منطقة واحدة في الدماغ، بل هو نتيجة للتفاعل الدائري المستمر بين المهاد (thalamus) والقشرة المخية

(cortex). وفقًا لهذه النظرية، يشكّل المهاد بوابة مركزية تتلقى المدخلات الحسية وتقوم بتوزيعها إلى مناطق القشرة المختلفة، بينما تقوم القشرة بإرسال تغذية راجعة إلى المهاد، ما يُنتج حلقة ديناميكية مغلقة تُعرف بـ thalamo-cortical loop، وهذه الحلقة يُعتقد أنها ضرورية للحفاظ على الإدراك الواعي المستمر وتنظيمه، ويصف Stanislas Dehaene و Jean-Pierre Changeux هذه الآلية بأنها تمثل شبكة عصبية واسعة الانتشار تتكامل فيها الإشارات العصبية الحسية والمعرفية والعاطفية، ويُعتبر هذا التكامل شرطاً لظهور الوعي.^(٤٢)

كما تشير الأبحاث إلى أن حالات فقدان الوعي (كالنوم العميق، أو التخدير، أو الغيبوبة) تتوافق مع ضعف أو انقطاع التزامن بين المهاد والقشرة، مما يؤكد الدور المحوري لهذا المحور في الحفاظ على حالة الوعي.^(٤٣) وقد دعمت تقنيات تصوير الدماغ الوظيفي مثل PET و fMRI هذه النظرية، حيث أظهرت أن النشاط المتزامن بين المهاد والقشرة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجة وضوح وتمثيل الخبرة الواعية، بينما يتراجع هذا النشاط في حالات اللاوعي.^(٤٤)

وترى الباحثة أن نظرية المحور الثالامي-القشري تُعد من أكثر النماذج إقناعاً في تفسير البنية العصبية للوعي، لأنها تدمج بين المعالجة الحسية والمراقبة المعرفية في إطار واحد ديناميكي. الميزة الجوهرية هنا أن النظرية لا تبحث عن "مقر" الوعي في منطقة مفردة، بل تطرحه كنتيجة لشبكة حوار عصبي ثنائية الاتجاه بين المهاد والقشرة. هذا يجعلها نموذجاً قوياً لتفسير التغيرات في الوعي بين حالات اليقظة والنوم أو التخدير، ويمنحها قابلية عالية للتطبيق السريري في تشخيص الاضطرابات الوعوية. ومع ذلك، ما يزال التحدي العلمي في تحديد ما إذا كانت هذه الحلقة مولدة للوعي أم أنها شرط داعم له فقط. فالوعي يعتمد على حلقة ديناميكية بين المهاد والقشرة، وليس على موقع دماغي منفرد. والمهاد يعمل كبوابة مركزية تنظم تدفق المعلومات الحسية وتنسقها مع عمليات القشرة. والتكامل العصبي في هذه الحلقة يشمل

الإشارات الحسية والمعرفية والعاطفية معًا. وانقطاع أو ضعف التزامن بين المهاد والقشرة يرتبط بحالات فقدان الوعي. والأدلة من fMRI و PET تدعم الترابط الوثيق بين نشاط المحور الثالامي-القشري ووضوح الخبرة الواعية.

٣- نظرية مارك سولمس في "النظام القاعدي"

يُعد مارك سولمس (Mark Solms) من أبرز منظّري الوعي الذين خالفوا الرأي السائد الذي يقصر نشأة الوعي على القشرة المخية، حيث قدّم نظرية ثورية تُركز على النظام القاعدي في جذع الدماغ، مؤكدًا أن الوعي لا ينبثق فقط من المعالجة الإدراكية العليا، بل من البنى التحتية قشرية المرتبطة بالدوافع والانفعالات. ووفقًا لسولمس، فإن جذع الدماغ - ولا سيما المناطق القاعدية مثل المنطقة الشبكية (reticular formation) والمنطقة الرمادية حول القناة (periaqueductal gray) - يلعب دورًا محوريًا في توليد الوعي، لأنه يتعامل مع الحاجات الغريزية الأساسية (كالجوع والخوف والرغبة)، ويربطها بحالة اليقظة والانتباه. يعتقد سولمس أن هذه المناطق تولّد ما يسميه "الوعي الشعوري الموجّه ذاتيًا" (subjective affective consciousness).^(٤٥)

ويرى سولمس أن الدوافع الشعورية الغريزية هي البنية الأساسية التي ينبثق منها الوعي، قبل أي معالجة معرفية أو لغوية. فالذات، بحسب هذا النموذج، تُدرك أولاً عبر الشعور الداخلي بالحالة النفسية والجسدية، وليس من خلال تمثيلات معرفية مجردة. وقد استند سولمس إلى نتائج سريرية وعصبية قوية، منها أن تدمير القشرة المخية لا يؤدي دائمًا إلى زوال الوعي، في حين أن إصابة جذع الدماغ العلوي تؤدي إلى فقدان دائم للوعي، ما يعزز فرضيته حول المحورية تحت قشرية لنشأة الوعي.^(٤٦)

وترى الباحثة أن نظرية مارك سولمس تمثل تحوّلًا مهمًا في فهمنا للوعي، لأنها تعيد مركز الثقل من القشرة المخية - التي لطالما احتكرت كمسرح الوعي - إلى البنى التحتية قشرية في جذع الدماغ. قوة هذه النظرية تكمن في اعتمادها على أدلة

سريرية قوية، خاصة من إصابات الدماغ، حيث يظل الوعي قائماً رغم تدمير أجزاء واسعة من القشرة، بينما يتلاشى تماماً عند إصابة الجذع الدماغي العلوي. هذا المنظور يفتح المجال لفهم الوعي بوصفه أولاً تجربة شعورية مرتبطة بالدوافع والانفعالات الأساسية، وليس مجرد ناتج لمعالجة معرفية عليا. مع ذلك، يبقى التحدي في تفسير كيف تتحول هذه المشاعر الغريزية الأولية إلى خبرة واعية معقدة كما نعرفها. فالوعي قد ينشأ في الأساس من البنى تحت قشرية المرتبطة بالدوافع والانفعالات، لا من القشرة المخية وحدها. والنظام القاعدي في جذع الدماغ (خاصة المنطقة الشبكية والمنطقة الرمادية حول القناة) يلعب دوراً مركزياً في توليد الوعي. والدوافع والانفعالات الغريزية تشكل البنية الأولية للوعي، قبل أي معالجة معرفية أو لغوية. وإصابة القشرة المخية لا تلغي دائماً الوعي، بينما إصابة الجذع الدماغي العلوي تؤدي إلى فقدانه نهائياً. والنموذج يقدم فهماً بيولوجياً يربط بين حالة اليقظة والحاجات الغريزية والتجربة الشعورية الذاتية.

٤ - فرضية دماغ الجبهة الخلفية (IIT)

قدّم عالم الأعصاب جوليو تونوني (Giulio Tononi) نظرية المعلومات المتكاملة (IIT) باعتبارها من أكثر النظريات طموحاً في تفسير جوهر الوعي من حيث البنية الداخلية للمعلومة وليس من خلال وظائفها فقط. تفترض IIT أن الوعي ينبثق عندما يكون النظام العصبي قادراً على دمج كمية كبيرة من المعلومات بشكل موحد وغير قابل للتجزئة، وتُقاس هذه القدرة بمتغير يُسمى Φ (في)، ويمثل مستوى "المعلومات المتكاملة" في النظام. (٤٧)

في ضوء هذه النظرية، طُرحت ما يُعرف بـ "فرضية دماغ الجبهة الخلفية" (Back-of-the-Brain Hypothesis)، وهي تقترح أن المناطق الخلفية من القشرة المخية، ولا سيما القشرة الجدارية، والقذالية، والصدغية الخلفية، هي المولد الحقيقي للوعي، وليس الفصوص الأمامية كما كان يُعتقد سابقاً. تعتمد هذه الفرضية

على ملاحظات علمية تُشير إلى أن إصابات الفص الجبهي لا تُفقد الإنسان وعيه، في حين تؤدي إصابات القشرة الخلفية إلى فقدان الوعي أو اضطرابه العميق. (٤٨)

وقد دعمت هذه النظرية تقنيات الرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) والتخطيط المغناطيسي للدماغ (MEG)، التي أظهرت أن النشاط العصبي المرتبط بالوعي يتركز في هذه المناطق الخلفية أثناء الإدراك الواعي، بينما يكون الفص الجبهي نشطاً أكثر في المهام التنفيذية والوظائف العليا التي لا تستلزم بالضرورة الوعي بالمعنى الظاهراتي. (٤٩)

ترى الباحثة أن فرضية دماغ الجبهة الخلفية في إطار نظرية المعلومات المتكاملة (IIT) تمثل نقلة مثيرة للجدل لأنها تتحدى التصور الشائع بأن الفصوص الأمامية هي مركز الوعي. ما يميزها هو المزج بين مؤشر كمي (Φ) لقياس تكامل المعلومات، وبين أدلة تشريحية ووظيفية تُظهر أن القشرة الخلفية هي المحرك الظاهراتي للوعي. هذه الفرضية مدعومة بملاحظات سريرية قوية (مثل فقدان الوعي عند إصابات المناطق الخلفية) وأدوات تصوير دماغي متقدمة، ما يمنحها قوة تفسيرية وعملية. مع ذلك، تبقى هناك تحديات، أبرزها تحديد ما إذا كان النشاط الخلفي شرطاً كافياً للوعي، أم أنه يعمل ضمن شبكة أوسع تشمل الجبهة لكن بدور أقل مباشرة. فالوعي يرتبط بمستوى تكامل المعلومات (Φ) في النظام العصبي، وليس بمجرد نشاطه الكلي. والمناطق الخلفية من القشرة المخية - الجدارية، القذالية، والصدغية الخلفية - قد تكون المولد الأساسي للوعي الظاهراتي. وإصابات الفصوص الخلفية تؤدي إلى فقدان أو اضطراب الوعي، بينما إصابات الفصوص الأمامية لا تؤدي دائماً لذلك. والنشاط العصبي المرتبط بالوعي يتركز في المناطق الخلفية أثناء التجارب الإدراكية. والفصوص الأمامية تلعب دوراً أكبر في الوظائف التنفيذية العليا، لكنها ليست بالضرورة المصدر المباشر للتجربة الواعية.

ثالثاً - حدود التفسير البيولوجي للكواليا والوعي الذاتي

رغم الثراء العلمي للنماذج البيولوجية، تواجه عدة إشكاليات فلسفية:

١ - الوعي كخبرة داخلية (الكواليا)

تمثل الكواليا (qualia) - أو الخبرة الذاتية الداخلية - أحد أعقد جوانب الوعي وأشدها استعصاءً على التفسير العلمي. الكواليا تشير إلى "ما يبدو عليه" الشعور، مثل طعم القهوة، أو الإحساس بالألم، أو رؤية اللون الأحمر. ورغم التقدم الكبير في علم الأعصاب، فإن هذه الظواهر تبقى خارج نطاق التفسير الفيزيائي المحض، لأنها لا تتحدد فقط عبر نشاط الخلايا العصبية، بل تتطوي على وجه ذاتي لا يمكن للعلم الموضوعي رصده. ويشير الفيلسوف فرانك جاكسون (Frank Jackson) إلى هذه المعضلة من خلال تجربته الفكرية الشهيرة المسماة "ماري في الغرفة السوداء". يقول فيها إن ماري عالمة عبقريّة تعرف كل شيء عن الفيزيولوجيا العصبية للرؤية، لكنها لم ترَ الألوان في حياتها لأنها تعيش في غرفة سوداء وبيضاء. ومع ذلك، حين تخرج ماري من الغرفة وترى اللون الأحمر لأول مرة، تكتسب نوعاً جديداً من المعرفة لم يكن ممكناً لها تحصيله من كل معرفتها العلمية السابقة.^(٥٠)

تُظهر هذه الحجة أن المعرفة العصبية - مهما بلغت دقتها - لا تشرح لماذا تبدو الأشياء كما تبدو للشعور الواعي. وقد تبنّى هذا الرأي أيضاً فلاسفة مثل توماس نيجل، الذي سأل في مقالته الشهيرة: ما الذي يكون عليه الشعور بأن تكون وطواطاً؟ مشدداً على أن الوعي يتضمن بُعداً ذاتياً لا يُردّ إلى الموضوعية العصبية.^(٥١) إن قضية الكواليا تمثل بالتالي تحدياً جوهرياً أمام التفسير البيولوجي المادي للوعي، لأنها تشير إلى أن هناك فجوة معرفية (explanatory gap) بين التفاعلات العصبية من جهة، والخبرة الشعورية الذاتية من جهة أخرى. فالكواليا تمثل البعد الأكثر استعصاءً على التفسير البيولوجي للوعي. والمعرفة العصبية الكاملة لا تُغني عن التجربة المباشرة للخبرة الشعورية. والحجج الفلسفية (مثل تجربة ماري وحجة نيجل) تُظهر وجود فجوة

تفسيرية بين النشاط العصبي والوعي الظاهراتي. والوعي يتضمن بعدًا ذاتيًا غير قابل للرد إلى بيانات موضوعية بحتة. والتفسير البيولوجي، رغم قوته، قد يظل غير مكتمل ما لم يُدمج مع مقاربات فلسفية أوسع.

٢ - الفجوة التفسيرية

تُعد الفجوة التفسيرية من أبرز الإشكالات الفلسفية التي تُواجه النظريات العصبية والمادية في تفسير الوعي. فحتى لو استطاع العلم أن يُحدد بدقة الشبكات العصبية المرتبطة بالحالات الواعية، أو أن يربط أنواعًا معينة من النشاط الدماغي بتجارب شعورية محددة، فإن السؤال الجوهرى يبقى قائمًا: لماذا تؤدي هذه الأنماط العصبية بالذات إلى شعور ذاتي؟ ولماذا "يشعر" الكائن بأي شيء على الإطلاق؟ وقد صاغ الفيلسوف جوزيف ليفين (Joseph Levine) مصطلح "الفجوة التفسيرية" في مقالته الشهيرة عام ١٩٨٣، ليعبر عن هذه الهوة بين المعرفة الموضوعية بالبنية العصبية والفيزيائية من جهة، وبين الخبرة الذاتية أو الكواليا من جهة أخرى. (٥٢)

وقد أصبحت هذه الفجوة - إلى جانب حجة الكواليا - مرتكزًا أساسيًا في ما يسمى بـ "مشكلة الوعي الصعب"، التي صاغها لاحقًا ديفيد تشالمرز (Chalmers)، مشيرًا إلى أن المشكلة ليست فقط في معرفة كيف يعمل الدماغ، بل كيف ولماذا تُنتج هذه العمليات حالات شعورية واعية. (٥٣) ويشير هذا إلى أن التحدي لا يكمن فقط في اكتشاف الارتباطات العصبية للوعي (NCC)، بل في تفسير العلة السببية التي تجعل من هذه الأنماط العصبية "واعية" بدل أن تكون مجرد نشاطات غير شعورية.

٣ - الوعي الذاتي والتجربة الفينومينولوجية

رغم محاولة داماسيو وادلمان ربط الشعور بالذات بالبنى الدماغية، تبقى الهوية الذاتية وإدراك الذات المستمرة موضوعًا يتجاوز التفسير البيولوجي المادي (٥٤) ويرى داماسيو أن الوعي الذاتي ينبثق من بناء تدريجي للذات عبر ثلاثة مستويات: الذات

الأولية (proto-self)، ثم الذات الجوهرية (core self)، وأخيرًا الذات المتسعة (autobiographical self). وتتمركز هذه العمليات حول الجهاز الحوفي، المهاد، وجذع الدماغ، وتتكامل مع القشرة المخية العليا. (٥٥)

كما اقترح إدلمان نموذجًا وظيفيًا يُعرف بنظرية المجموعة العصبية الديناميكية (Dynamic Core Theory)، حيث يُنظر إلى الوعي الذاتي كنتاج لتكامل معلوماتي ضمن "نواة ديناميكية" من المناطق الدماغية التي تنسق الإدراك والذاكرة واللغة. (٥٦)

ومع ذلك، تبقى التجربة الفينومينولوجية للذات - أي الإحساس بالهوية الذاتية المستمرة والداخلية - موضوعًا يُثير إشكاليات فلسفية تتجاوز التفسير البيولوجي المادي. إذ كيف يُمكن لنظام عصبي أن يختبر ذاته؟ وما الذي يمنح التجربة الشعورية طابعًا ذاتيًا موحدًا عبر الزمن، رغم التغير الدائم في المدخلات العصبية؟ ويُجادل الفينومينولوجيون، من أمثال موريس ميرلو-بونتي (Merleau-Ponty) وإدموند هوسرل (Husserl)، بأن الوعي الذاتي ليس مجرد وظيفة بيولوجية، بل تجربة معيشة تجري في "الزمن الداخلي"، وتستلزم بنية قصدية توجه الذات نحو العالم والذات معًا. (٥٧) وتشير هذه المقاربة إلى أن الهوية الذاتية ليست مجرد حاصل جمع حالات عصبية متتالية، بل تمثل استمرارية شعورية لا يمكن أن تُفسر بالكامل داخل النموذج المادي، ما يُبقي مفهوم الذات أحد أعقد ألغاز الوعي المعاصر.

وترى الباحثة أن النظريات البيولوجية أحرزت تقدمًا كبيرًا في رسم الخرائط العصبية للوعي، ووفرت فهمًا آليًا مهمًا للظواهر العقلية. إلا أنها، رغم دقتها التفسيرية، ما زالت عاجزة عن النفاذ إلى لب التجربة الذاتية أو الكيفية الداخلية للوعي. وهذا ما يفتح المجال أمام نظريات التمثيل العقلي والوعي الذاتي كأفق جديد لفهم هذه الظاهرة المركبة، وهو ما يتناوله المبحث الرابع

المبحث الرابع التمثيل العقلي والوعي الذاتي

أولاً- نظريات التمثيل في فلسفة العقل

ظهر الاتجاه التمثيلي في فلسفة العقل بوصفه محاولة لتفسير الوعي من خلال محتواه الإدراكي أو التمثيلي، لا من خلال طبيعته الفينومينولوجية. ووفقاً لهذا التصور، فإن ما يجعل حالة ما واعية هو قدرتها على تمثيل العالم أو الذات بطريقة معينة. يُعرف هذا الاتجاه بالتمثيلية (Representationalism) أو أحياناً بالنظرية التمثيلية للوعي. ويرى مايكل تاي (Michael Tye) أن الحالات الواعية هي حالات عقلية ذات محتوى تمثيلي متميز، وتتمتع بوضعية خاصة تجعل التمثيل واعياً لا غير واعٍ^(٥٨) وتؤكد التمثيلية أن الكواليا لا تمثل خاصيات مستقلة، بل هي أنماط تمثيل معرفي داخل نظام المعالجة الإدراكي. فالإحساس بـ"الأحمر" هو تمثيل لنوع معين من الخصائص الخارجية.

وقسم عدد من فلاسفة العقل التمثيل العقلي إلى تمثيل من الدرجة الأولى وتمثيل من الدرجة الثانية (التمثيل الأعلى أو الميتا تمثيل)، وذلك لفهم البنية المعرفية للوعي، وخاصة الوعي الذاتي (self-consciousness) أو الميتاوعي (meta-consciousness) : ^(٥٩)

- التمثيل من الدرجة الأولى (First-order representation): هو تمثيل مباشر للواقع الخارجي أو للظواهر البيئية، يتم عبر عمليات إدراكية حسية مثل رؤية شجرة أو سماع صوت. هذه التمثيلات هي أساس الخبرة الشعورية العادية، لكنها لا تكشف بحد ذاتها عن كونها خبرات واعية.
- التمثيل من الدرجة الثانية أو الأعلى (Higher-order representation): هو تمثيل لحالة عقلية أخرى؛ أي أن العقل لا يمثل فقط شيئاً في العالم، بل يمثل أيضاً أنه يمثل هذا الشيء. وهذا النوع من التمثيل يُعتبر الأساس في بعض النظريات

لتفسير الوعي الظاهراتي والوعي بالذات. ويُعد ديفيد روزنتال (David Rosenthal) من أبرز المدافعين عن نظرية التمثيل الأعلى (Higher-Order Thought Theory – HOT)، ويُعرّف الوعي بأنه امتلاك فكر من الدرجة الثانية حول فكر من الدرجة الأولى. فالشخص لا يكون واعياً بفكره أو إحساسه إلا إذا كان لديه فكر آخر يُدرك أنه يُفكر أو يشعر.

ويرى مؤيدو هذا الطرح أن الوعي لا ينبثق من التمثيل الإدراكي فقط، بل من قدرة العقل على إعادة تمثيل حالاته الخاصة. وهكذا، فإن الوعي الذاتي يصبح نتيجة للبنية المعرفية التي تحتوي على "طبقة فوقية" من المراقبة أو الانعكاس. (٦٠) لكن هذه النظرية لم تسلم من الانتقادات، حيث يرى فلاسفة مثل Ned Block أن وجود تمثيلات من الدرجة الثانية ليس ضرورياً لتفسير كل أشكال الوعي، خاصة الوعي الظاهراتي الخام (pure phenomenal consciousness)، الذي قد يكون حاضراً دون أي وعي بالوعي ذاته.

وترى الباحثة أن التمثيلية في فلسفة العقل تمثل محاولة جريئة لتجاوز مأزق الكواليا عبر إرجاعها إلى بنى تمثيلية داخل الجهاز الإدراكي، بدل اعتبارها خصائص أولية مستقلة. هذه المقاربة تعيد تعريف الخبرة الشعورية باعتبارها وظيفة تمثيلية متخصصة، وهو ما يجعلها أكثر قابلية للتفسير العلمي والمقارنة مع المعالجة الحاسوبية للمعلومات. تقسيم التمثيل إلى درجة أولى ودرجة ثانية يضيف عمقاً تحليلياً، خصوصاً في معالجة مسألة الوعي الذاتي، إذ يربط الأخير بقدرة الميّا-تمثيل على مراقبة وإعادة توصيف الحالات العقلية. نظرية الأفكار من الدرجة الأعلى (HOT) لديفيد روزنتال تعد من أكثر الصيغ وضوحاً لهذا الاتجاه، لكن كما يشير نيد بلوك، لا يمكن اعتبار هذا الشرط عامّاً لكل أشكال الوعي، لأن هناك حالات من الوعي الظاهراتي الخام التي تبدو مستقلة عن الميّا-وعي. وهذا يضع النظرية أمام تحدي التوفيق بين الوعي كمحتوى تمثيلي والوعي كتجربة معاشة لا تحتاج إلى انعكاس

معرفي على ذاتها. فالتمثيلية تفسر الوعي من خلال بنيته التمثيلية لا من خلال طبيعته الشعورية المباشرة. والكواليا، وفق هذا الاتجاه، ليست خصائص مستقلة بل أنماط تمثيل معرفي. وتقسم التمثيل إلى درجة أولى (إدراك مباشر) ودرجة ثانية (إدراك للإدراك) يتيح فهمًا أعمق للوعي الذاتي. ونظرية HOT تؤكد أن الوعي يتطلب تمثيلًا أعلى لحالة عقلية أدنى. والنقد الفلسفي (مثل اعتراض بلوك) يبين أن بعض أشكال الوعي قد لا تحتاج ميتا-تمثيل، مما يترك فجوة في التفسير التمثيلي.

ثانيًا - الوعي الذاتي كحالة معرفية تمثيلية

يمثل الوعي الذاتي (Self-consciousness) أحد أعقد الظواهر العقلية التي يصعب اختزالها في تفسيرات بيولوجية أو وظيفية بحتة، إذ يتجاوز الأمر مجرد إدراك موضوع خارجي إلى إدراك الذات وهي تدرك. في هذا السياق، يقدم ديفيد روزنثال نظريته المعروفة بنظرية التمثيل من الدرجة الثانية (Higher-Order Thought Theory)، والتي ترى أن الحالة العقلية لا تكون واعية إلا إذا كانت هناك حالة عقلية أخرى أعلى تمثلها وتدركها. وفق هذا المنظور، يصبح الوعي الذاتي عملية انعكاس معرفي، حيث يوجّه الإدراك إلى الإدراك نفسه، لا مجرد نتاج لمعالجة حسية أو تفاعل عصبي.^(٦١) أما جيلبرت هارمان، فيؤكد أن الوعي ليس عملية مراقبة داخلية للتجربة، بل هو حالة عقلية تقدم محتواها التمثيلي مباشرة في إطار خاص، بحيث تدخل الذات في علاقتها التمثيلية بالموضوع من دون أن "تلاحظ" التجربة كشيء منفصل، وهو ما يميز الخبرة الواعية عن المعالجة اللاواعية للمعلومات.^(٦٢)

وتطرح نظرية التمثيل الذاتي (Self-Representational Theory) التي طورها أوريا كريغل تصورًا مختلفًا، إذ ترى أن كل حالة واعية "تمثل نفسها" بالضرورة، أي أن التمثيل الذاتي مكوّن جوهري في بنية الوعي نفسه، وليس عملية إضافية تطرأ عليه. وبهذا، يكون الوعي متضمنًا لتمثيل مباشر لذاته في اللحظة نفسها التي يتم فيها تمثيل موضوعه، وهو ما يمنحه طابعه الذاتي الفريد.^(٦٣)

ترى الباحثة أن الوعي الذاتي في الإطار التمثيلي يبرز كتقاطع بين علم النفس المعرفي والفلسفة التحليلية، حيث يتأرجح بين كونه انعكاسًا معرفيًا إضافيًا (كما في نظرية روزنتال) وبين كونه خاصية بنيوية أصيلة في كل حالة واعية (كما في طرح كريغل). طرح روزنتال يمنحنا نموذجًا واضحًا لبنية الميتا-وعي من خلال مفهوم الفكر من الدرجة الثانية، لكن انتقاداته تتركز على أنه قد يجعل بعض أشكال الوعي الفوري-التي لا تتطلب وعيًا بالوعي - خارج التعريف. أما هارمان فيعيد ضبط الإطار، مؤكدًا أن الوعي لا يحتاج إلى مراقبة داخلية، بل إلى تقديم المحتوى التمثيلي نفسه للذات في صيغة مباشرة، ما يخفف من "ثقل" الميتا-تمثيل. بينما يذهب كريغل خطوة أبعد، جاعلاً التمثيل الذاتي مكونًا جوهريًا في كل وعي، بحيث لا يمكن تصوّر حالة واعية بلا تمثيل مباشر لذاتها. فروزنتال: الوعي الذاتي = فكر من الدرجة الثانية يمثل حالة عقلية أدنى. وهارمان: الوعي = تقديم مباشر للمحتوى التمثيلي، لا مراقبة داخلية للتجربة. وكريغل: كل حالة واعية تحمل تمثيلًا لذاتها في بنيتها الأساسية. والخلاف الفلسفي يتمحور حول ما إذا كان التمثيل الذاتي شرطًا عرضيًا (يطرأ على بعض الحالات) أو شرطًا جوهريًا ملازمًا لكل وعي.

ثالثًا - إشكاليات التمثيل والوعي الذاتي

رغم القوة التفسيرية لهذه النظريات، فإنها تواجه عدة إشكاليات:

١ - تجريد التجربة

ترى التمثيلية أن الكواليا (qualia) ليست سوى محتوى تمثيلي داخلي، أي أن "ما هو شعوره" (what-it-is-like) عند إدراك شيء ما يمكن تفسيره بلغة المحتوى الدلالي للحالة الذهنية. لكن هذا الطرح يتعرض لانتقاد شديد، إذ يُقال إنه يُجَرّد التجربة من بعدها الشعوري الملموس. فـ"رؤية الأحمر" مثلًا، لا تبدو وكأنها مجرد ترميز دلالي للموجة الضوئية، بل هي خبرة حية ذات جودة ذاتية لا تختزل إلى التمثيل، وقد بيّن نيد

بلوك أن الوعي الظاهري (phenomenal consciousness) لا يتطابق بالضرورة مع الوعي النفاذي (access consciousness)، وأن اختزال الأول إلى مجرد تمثيل قد يُفقدنا جوهر التجربة. (٦٤).

٢- اللاوعي وغياب التمثيل

إذا كانت كل حالة واعية تتطلب تمثيلاً، فكيف نفسر الظواهر الشعورية الغامضة أو الانفعالات العاطفية التي لا يظهر فيها محتوى تمثيلي واضح؟ على سبيل المثال، حالات القلق العام أو الانقباض النفسي التي يشعر بها الفرد أحياناً لا تتضمن بالضرورة صورة أو معنى محدد، لكنها رغم ذلك تُعاش كتجارب شعورية. (٦٥) كذلك، تظهر أبحاث النوم أن بعض مراحل النوم العميق (غير الحالم) يمكن أن تتضمن نشاطاً دماغياً يرتبط بالشعور الذاتي البسيط دون وجود أي محتوى تمثيلي معقد. (٦٦)

٣-وعي الذات ودوائر التفسير

في نظرية التمثيل الذاتي يُفترض أن كل حالة واعية تمثل ذاتها ضمناً. لكن هذا التفسير قد يثير إشكالية دورية: إذا كان الوعي يتطلب تمثيلاً للذات، فمن الذي ينشئ هذا التمثيل في البداية؟ وهل يتطلب ذلك وعياً سابقاً؟ إذا كان الجواب نعم، فنحن أمام تسلسل لانتهائي من عمليات التمثيل؛ وإذا كان الجواب لا، يصبح التمثيل غير مفسّر في أساسه. هذه الإشكالية الدائرية تجعل بعض الفلاسفة (مثل Zahavi) يرفضون فكرة أن وعي الذات مشروط بتمثيل، ويقترحون بديلاً هو الحضور الذاتي المباشر (pre-reflective self-awareness) (٦٧).

٤- تجربة الفينومينولوجيا المباشرة

تشير بعض المدارس مثل الفينومينولوجيا، بدءاً من هوسرل، يؤكدون أن وعي الذات ليس تمثيلاً لنفسه، بل هو إدراك مباشر للحضور الذاتي في لحظة التجربة. وفق هذا المنظور، لا يحتاج الفرد إلى "صورة ذهنية" عن نفسه ليكون واعياً بها، بل يعيشها

كمعطى أصلي للوعي^(٦٨) هذا الموقف يتحدى التمثيلية من أساسها، إذ يرى أن أي محاولة لردّ الوعي إلى آلية تمثيلية ستفشل في التقاط الجوهر المعيشي المباشر للتجربة.^(٦٩)

وترى الباحثة النقد الموجه للتمثيلية والتمثيل الذاتي يكشف أن قوة هذه النماذج في الوضوح البنيوي يقابلها قصور في التقاط البعد المعيشي المباشر للوعي. إشكالية تجريد التجربة تضع التمثيلية أمام تحدٍّ فلسفي عميق: كيف نحافظ على "الطابع الحي" للكواليا إذا اختزلناها إلى محتوى دلالي؟ أطروحة نيد بلوك حول التمييز بين الوعي الظاهري والنفاذي تعزز هذا الاعتراض، وتدفع باتجاه الاعتراف بوجود جانب من التجربة غير قابل للاختزال إلى تمثيل.

إضافة إلى ذلك، مسألة اللاوعي أو التجارب بلا محتوى تمثيلي واضح تضعف ادعاء أن كل وعي مشروط بتمثيل معرفي، خصوصاً مع شواهد من الانفعالات الغامضة أو النوم العميق. أما إشكالية الدورية في نظرية التمثيل الذاتي، فهي تثير سؤالاً منطقيًا عن "النقطة الأولى" في سلسلة التمثيلات، ما يجعل بدائل مثل الحضور الذاتي ما قبل الانعكاسي (Zahavi) أكثر بساطة من الناحية التفسيرية. وأخيرًا، الطرح الفينومينولوجي يقدم تحديًا وجوديًا للتمثيلية، معتبرًا أن الوعي بالذات معطى أولي مباشر وليس نتيجة آلية تمثيلية، وهو ما يضع الخط الفاصل بين مقارنة "تحليل البنية" ومقاربة "عَيش التجربة". فالتمثيلية قد تفقد البعد الشعوري الحي للتجربة عند اختزالها للمحتوى التمثيلي. ووجود حالات شعورية بلا تمثيل واضح يقوّض شرط التمثيل كضرورة للوعي. ونظرية التمثيل الذاتي تواجه إشكالًا دائريًا في أصل التمثيل. والفينومينولوجيا تقدّم بديلاً يرى الوعي الذاتي حضورًا مباشرًا لا يحتاج إلى تمثيل.

المبحث الخامس

نحو نموذج تركيبى لفهم الوعي

(دراسة فلسفية في ضوء الطبيعة البيولوجية والتمثيلية والفينومينولوجيا)

أولاً- ضرورة النموذج التركيبي

أظهرت المباحث السابقة أن كل مقارنة لفهم الوعي — سواء كانت بيولوجية، وظيفية، تمثيلية، أو ذات طابع فينومينولوجي — تقدّم جزءاً من الصورة، لكنها تعجز عن الإحاطة الشاملة بطبيعة الوعي.

يؤكد ديفيد تشالمرز أن التفسيرات القائمة على المكونات المادية أو التمثيلية وحدها تُعاني من "فجوة تفسيرية" *explanatory gap* بين العمليات الفيزيائية والشعور الواعي^(٧٠). ومن هنا، باتت الحاجة ملحة إلى نموذج تركيبى يجمع بين المنهج العلمي والتحليل الفلسفي، ويوازن بين البنية العصبية والبنية التجريبية الذاتية.

ثانياً- مكونات النموذج التركيبي المقترح

١- البنية البيولوجية: أساس المادة الحاملة للوعي:

لا يمكن تجاهل أن الوعي لا ينشأ خارج البنية الفيزيائية للجهاز العصبي البشري. إذ تشير أبحاث أنطونيو داماسيو إلى أن الوعي يتطلب تكاملاً ديناميكياً بين القشرة الدماغية العليا والهياكل العميقة، بما في ذلك المهاد والنواة اللوزية، حيث تسهم هذه البنى في توليد "خريطة عصبية" متغيرة باستمرار للجسم والعالم المحيط لذا، يجب أن يتضمن أي نموذج تفسيري للوعي: ^(٧١)

- تمثيل مكونات الدماغ الأساسية (القشرة المخية، المهاد، النواة اللوزية).
- تحليل العمليات العصبية الديناميكية، مثل التزامن العصبي والتكامل الوظيفي بين المناطق الدماغية.

٢- التمثيل العقلي: البناء المعرفي للمحتوى الواعي

يفسر مفهوم التمثيل العقلي الكيفية التي ينظم بها الدماغ المعلومات الخارجية (الألوان، الأشكال، الأصوات) والمعلومات الداخلية (الأفكار، الحالات الانفعالية، النوايا) في صيغ إدراكية قابلة للخبرة. يرى مايكل تاي أن الكواليا (Qualia) ليست جوهراً ميتافيزيقياً منفصلاً، بل هي نمط من التمثيل الحسي الذي يحمل معلومات حسية بطريقة كيفية معينة، ما يمنح الخبرة طابعها النوعي.^(٧٢)

٣- الوعي الذاتي: الحضور الداخلي للذات

لا يقتصر الوعي على تمثيل المعلومات عن العالم، بل يشمل انعكاس الذات على ذاتها، وهو ما تفسره نظريات الوعي من الدرجة الثانية كما عند ديفيد روزنثال، حيث يرى أن حالة ما تصبح واعية إذا كان هناك تمثيل عقلي آخر أعلى يعي هذه الحالة. لكن في المقابل، يلفت دان زهافي إلى أهمية مفهوم "الحضور الشعوري" الذي لا يمكن اختزاله إلى عمليات تمثيلية، مؤكداً أن هناك بُعداً ذاتياً مباشراً يتخلل جميع خبراتنا الواعية.^(٧٣)

٤- الطبقة الفينومينولوجية: الطابع الكيفي للتجربة

لا يكتمل أي نموذج تركيبى دون تضمين البُعد الفينومينولوجي للوعي، أي الطابع المعيشي المباشر للتجربة. يؤكد إدموند هوسرل أن الوعي يحضر لذاته بلا وسيط تمثيلي، إذ يُدرك الفرد ذاته في سياق عيش التجربة نفسها، لا في صورة ذهنية عنها. وبذلك، يجب أن يتضمن النموذج طبقة تصف التجربة المعيشة كحدث حيوي متجدد، لا كمجرد صورة أو تمثيل عقلي ثابت.^(٧٤)

ترى الباحثة أن النموذج يعترف بأهمية التداخل بين البيولوجيا والفلسفة في تفسير الوعي. كذلك الجمع بين التمثيلية والفينومينولوجيا يعزز شمولية التفسير، لكنه

يفرض تحديًا في صياغة آلية متماسكة للربط. والحضور الذاتي المباشر عنصر أساسي للحفاظ على أصالة التجربة، لا مجرد إضافة اختيارية. أي نجاح للنموذج يتوقف على قدرته في تقديم إطار تفسيري يدمج المستويات الأربعة دون تناقضات أو فجوات مفاهيمية.

ثالثًا - تطبيقات النموذج في فهم ظواهر الوعي.

١- الوعي الحسي

يمثل إدراك اللون مثالًا بارزًا على تفاعل المكونات المختلفة للوعي. فعلى المستوى البيولوجي، تشير أبحاث علم الأعصاب إلى أن معالجة اللون تعتمد على نشاط الخلايا المخروطية في الشبكية ونقل الإشارة عبر المسار البصري إلى القشرة البصرية في الفص القذالي^(٧٥). أما على المستوى التمثيلي، فإن الدماغ يشكل صيغة معرفية تمثل اللون الأحمر كمعلومة حسية قابلة للتمييز عن غيرها^(٧٦). وعلى مستوى الوعي الذاتي، يصبح الفرد مدركًا أنه هو الذي يرى اللون، فيتحقق بذلك حضور الذات في التجربة وأخيرًا، تأتي الطبقة الفينومينولوجية، حيث يختبر الشخص "أحمرية" اللون كخبرة نوعية مباشرة لا يمكن اختزالها إلى أي صيغة تمثيلية أو وصف فيزيائي^(٧٧).

٢- النية والإرادة

يوضح النموذج التركيبي أن إدراك النية يتضمن تداخل أربعة أبعاد متكاملة. فعلى المستوى البيولوجي، أظهرت دراسات التصوير العصبي أن مناطق مثل القشرة الجبهية الأمامية والبطامة (Putamen) تشارك في تحفيز القرارات الحركية والإرادية^(٧٨). على المستوى التمثيلي، يقوم الدماغ بترميز الهدف والخطوات الإجرائية اللازمة لتحقيقه، بحيث يُخزن في الذاكرة العاملة إطار عمل ذهني واضح^(٧٩).

أما الوعي الذاتي في هذه الحالة، فيتمثل في إدراك الفرد لذاته كفاعل يتبنى النية ويتحكم في تنفيذها^(٨٠). وتأتي التجربة الفينومينولوجية لتضفي على هذه العملية

بعدًا شعوريًا، إذ يشعر الشخص بتوجهه نحو غاية محددة وبقوة الدفع الداخلي لتحقيقها، وهو ما يشكل المعنى الذاتي للإرادة.^(٨١)

وترى الباحثة أن التطبيقات المطروحة تعكس قوة النموذج التركيبي في تفسير ظواهر الوعي من خلال الربط المنهجي بين المستويات الأربعة، حيث ينجح في إظهار كيف أن كل بعد يضيف طبقة تفسيرية مختلفة لكنها متكاملة. مثال اللون يوضح الترابط بين المعالجة العصبية والتمثيل المعرفي وحضور الذات والخبرة المباشرة، بينما مثال النية يبرز الجانب الديناميكي للوعي، إذ يجمع بين الاستعداد البيولوجي وتصميم الخطة وإدراك الذات كفاعل والطابع الشعوري للإرادة. فالنموذج يوفر إطارًا تطبيقيًا واضحًا يمكن نقله إلى مجالات متعددة، مثل الوعي الحسي، والإرادة، وحتى العواطف المعقدة. وأمثلة اللون والنية تُظهر أن الفصل بين المستويات الأربعة يؤدي إلى فهم جزئي فقط، بينما الدمج بينها يمنح صورة أكثر اكتمالًا. والحفاظ على البعد الفينومينولوجي يحمي التفسير من السقوط في الاختزال المادي أو التمثيلي البحت. ويبقى التحدي في قياس أو رصد هذا "الحضور الشعوري" بدقة علمية، خاصة في البعد الفينومينولوجي الذي يصعب إخضاعه للأدوات التجريبية المباشرة.

رابعًا - تقييم النموذج التركيبي

نقاط القوة:

يُظهر النموذج التركيبي في دراسة الوعي مجموعة من نقاط القوة التي تجعله متميزًا مقارنة بالمقاربات الاختزالية أو الأحادية. أولاً، يتجاوز النموذج الاختزال المادي البحت، إذ يجمع بين المعطيات العصبية والبيولوجية من جهة، والتحليلات الفلسفية والفينومينولوجية من جهة أخرى، وهو ما ينسجم مع دعوة أنطونيو دامازيو إلى بناء نظريات للوعي تربط بين النشاط العصبي والتجربة الذاتية دون إقصاء أحد البعدين.^(٨٢) ثانيًا، يحافظ النموذج على المعطيات التجريبية التي يقدمها علم الأعصاب المعرفي،

مع مراعاة النقد الفلسفي لمحدودية هذه المعطيات في تفسير البعد الكيفي للتجربة، كما أشار توماس نيجل في تحليله الكلاسيكي لمشكلة "ما معنى أن تكون كائنًا واعيًا؟" (٨٣). ثالثًا، يتيح النموذج بناء خريطة متعددة المستويات للوعي، تدمج البنية البيولوجية، التمثيل العقلي، الوعي الذاتي، والبعد الفينومينولوجي في إطار واحد (٨٤).

نقاط الضعف:

مع ذلك، يواجه النموذج عدة نقاط ضعف. فهو ما يزال في المقام الأول إطارًا نظريًا لم يكتمل التحقق التجريبي له، مما يجعله عرضة للتعديل أو الرفض إذا لم تدعمه الأدلة العصبية المستقبلية (٨٥). كما أنه لا يقدم حلاً نهائيًا لما يُعرف بـ "مشكلة الوعي الصعب" التي صاغها ديفيد تشالمرز، والمتعلقة بكيفية انبثاق التجربة الكيفية (Qualia) من العمليات الفيزيائية البحتة (٨٦). إضافة إلى ذلك، لا يطرح النموذج آلية واحدة موحدة للوعي، بل يعتمد على شبكة من التداخلات، وهو ما قد يُضعف قدرته على تقديم تفسير سببي مباشر ومحدد.

في المحصلة، يبدو أن الوعي لا يمكن فهمه من منظور أحادي، بل يتعين تناوله بوصفه نظامًا معقدًا مكونًا من طبقات بيولوجية، تمثيلية، ذاتية، وفينومينولوجية. وبهذا المعنى، يشكل النموذج التركيبي خطوة نحو تفسير متكامل للوعي، دون أن يُسقط الطابع الشخصي للتجربة أو يفرض في تبسيط المعطيات العلمية.

وترى الباحثة أن التقييم يوضح أن النموذج التركيبي يمثل محاولة جادة للخروج من المأزق الذي تقع فيه المقاربات الاختزالية، عبر الجمع بين العلوم العصبية والفلسفة والفينومينولوجيا. قوته الأساسية تكمن في التكامل متعدد المستويات، وهو ما يجعله أكثر شمولًا ومرونة في التعامل مع ظواهر الوعي المعقدة. كما أنه يتماشى مع توجهات معاصرة في أبحاث الوعي ترى أن أي تفسير مقبول يجب أن يحافظ على البعد التجريبي والخبرة الذاتية معًا. فالنموذج يقدم أرضية خصبة للتعاون بين التخصصات، مما يزيد من فرص تطويره علميًا وفلسفيًا. وافتقاره للتحقق التجريبي الكافي يجعله حاليًا

إطارًا نظريًا أكثر من كونه نموذجًا مثبتًا. وفشله في حل "مشكلة الوعي الصعب" يعكس أن الإطار التركيبي، رغم شموليته، لا يزال يعتمد على الوصف أكثر من التفسير السببي العميق. واعتماده على شبكة تفاعلية بدل آلية سببية موحدة يمنحه المرونة لكنه يقلل من قدرته على التنبؤ العلمي الدقيق.

الخاتمة:

أولاً- أهم النتائج:

شهد هذا البحث استعراضًا نقديًا لأهم المقاربات الفلسفية والعلمية لفهم الوعي، واستند إلى تحليل تركيبى متعدد المستويات، سمح بتفكيك الظاهرة إلى أبعادها البنوية والكيفية. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها:

١- الوعي ليس ظاهرة أحادية البعد، بل يتكوّن من تفاعلات بين العمليات البيولوجية (الدماغ والجهاز العصبي)، والأنظمة التمثيلية (المحتوى العقلي)، والوعي الذاتي (الانعكاس الشخصي)، والتجربة الكيفية (الفينومينولوجيا).

٢- النظريات الوظيفية والتمثيلية تفسر بعض جوانب الوعي، لكنها تعجز عن تفسير "الجانب الكيفي" أو الكواليا، أي كيف يبدو الإحساس من الداخل.

٣- تشير الطبيعة البيولوجية (خاصة عند دامازيو) إلى أن الوعي يتطلب جهازًا عصبيًا متكاملًا يعالج المعلومات ويكوّن الشعور، لكن هذا لا يفسر بذاته الخبرة الذاتية .

٤- تقدم الفلسفة الفينومينولوجية، خاصة مع هوسرل وزهافي، تحليلًا دقيقًا للتجربة الذاتية، لكنها تظل غير مترابطة تجريبيًا مع العلوم العصبية.

٥- لذا يُعد النموذج التركيبي الذي يجمع بين هذه الاتجاهات أكثر قدرة على الإحاطة بظاهرة الوعي من أي مقارنة أحادية.

ثانيًا - أبرز التوصيات:

- ١- تعزيز الحوار بين الفلسفة والعلوم العصبية، من خلال برامج بحثية مشتركة تجمع بين التحليل الفلسفي والتجريب العلمي لفهم الوعي.
- ٢- دعم نظرية “الطبقات المتداخلة للوعي” التي تنظر إلى الوعي كبنية مركبة من: الأساس العصبي، التمثيل العقلي، الوعي الذاتي، والكيفيات الفينومينولوجية.
- ٣- تطوير نظريات جديدة للوعي الذاتي تأخذ في الحسبان التفاعل بين الدماغ والجسد والبيئة والسياق الاجتماعي (ما يسمى بالنماذج المجسدة والتموضعة)
- ٤- الانفتاح على البعد الأخلاقي والمعرفي للوعي، خاصة في تطبيقات الذكاء الاصطناعي والطب النفسي، مما يتطلب نماذج وعي تأخذ في اعتبارها الخبرة الإنسانية لا المعالجة الحسابية فقط.

الهوامش

- (1) Descartes, René. *Meditations on First Philosophy*. Translated by John Cottingham, Cambridge University Press, 1996.p19
- (2) Chalmers, David J. *The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory*. Oxford University Press, 1996. p. xiii
- (3) Nagel, Thomas. "What is it Like to Be a Bat?" *The Philosophical Review*, vol. 83, no. 4, 1974, pp. 435–450.
- (4) Chalmers, David J. *The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory*. Oxford University Press, 1996.p. 267.
- (5) Levine, Joseph. "Materialism and Qualia: The Explanatory Gap." *Pacific Philosophical Quarterly*, vol. 64, no. 4, 1983, pp. 354–361.
- (6) Block, Ned. "Concepts of Consciousness." *Trends in Cognitive Sciences*, vol. 1, no. 8, 1995, pp. 228–235.
- (7) Graziano, Michael S. A. *Consciousness and the Social Brain*. Oxford University Press, 2013.p101
- (8) Schooler, Jonathan W. "Re-representing Consciousness: Dissociations Between Experience and Meta-consciousness." *Trends in Cognitive Sciences*, vol. 6, no. 8, 2002, pp. 339–344.
- (9) Laureys, Steven, et al., eds. *The Neurology of Consciousness: Cognitive Neuroscience and Neuropathology*. Academic Press, 2015.pp3-5
- (10) Levine, Joseph. "Materialism and Qualia: The Explanatory Gap." *Pacific Philosophical Quarterly*, vol. 64, no. 4, 1983, pp. 354–361.
- (11) Chalmers, David J. *The Conscious Mind*.pp.94-96
- (12) Jackson, Frank. "Epiphenomenal Qualia." *The Philosophical Quarterly*, vol. 32, no. 127, 1982, pp. 127–136.
- (13) *Ibid*,p.131
- (14) Searle, John R. *The Mystery of Consciousness*. The New York Review of Books, 1997.pp.5-6
- (15) Putnam, Hilary. *Mind, Language and Reality: Philosophical Papers*, Volume 2. Cambridge University Press, 1975. pp. 429–430
- (16) Dennett, Daniel C. *Consciousness Explained*. Little, Brown and Co., 1991. pp. 432–434

- (17) Baars, Bernard J. In the Theater of Consciousness: The Workspace of the Mind. Oxford University Press, 1997.pp.7-10
- (18) Baumeister, R. F., & Masicampo, E. J. (2010). Conscious thought is for facilitating social and cultural interactions: How mental simulations serve the animal–culture interface. *Psychological Review*, 117(3), pp.945–971.
- (19) Gazzaniga, M. S. (2011). Who's in Charge? Free Will and the Science of the Brain. HarperCollins.p.103
- (20) Dehaene, S., & Naccache, L. (2001). Towards a cognitive neuroscience of consciousness: basic evidence and a workspace framework. *Cognition*, 79(1-2), 30–37.
- (21) Baars, B. J. (1988). A Cognitive Theory of Consciousness. Cambridge University Press.p.92
- (22) Baars, B. J. (1997). In the Theater of Consciousness: The Workspace of the Mind. Oxford University Press.p.7
- (23) Baars, B. J. (2002). The conscious access hypothesis: Origins and recent evidence. *Trends in Cognitive Sciences*, 6(1), 47–52.
- (24) Dehaene, S., & Changeux, J. P. (2011). Experimental and theoretical approaches to conscious processing. *Neuron*, 70(2), 200–227.
- (25) Baars, B. J. (1997). In the Theater of Consciousness: The Workspace of the Mind. Oxford University Press.p.7
- (26) Dennett, Daniel C. Consciousness Explained. Boston: Little, Brown and Company, 1991.p.253
- (27) Dennett, Daniel C. Sweet Dreams: Philosophical Obstacles to a Science of Consciousness. MIT Press, 2005.p.148
- (28) Chalmers, David J. The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory. Oxford University Press, 1996.pp.94-96
- (29) Searle, “Minds, Brains, and Programs,” *Behavioral and Brain Sciences*, 1980, p. 417
- (30) Searle, John R. Minds, Brains, and Science. Harvard University Press, 1984.pp32-33

- (31) Jackson, "Epiphenomenal Qualia," The Philosophical Quarterly, 1982, p. 131
- (32) Block, Ned. "Troubles with Functionalism." In Readings in Philosophy of Psychology, edited by Ned Block, vol. 1, Harvard University Press, 1980, pp. 268–305.
- (33) Nagel, "What Is It Like to Be a Bat?", The Philosophical Review, 1974, p. 436.
- (34) Chalmers, The Conscious Mind, 1996, p. 10
- (35) Searle, John R. The Rediscovery of the Mind. MIT Press, 1992.p.1
- (36) Damasio, Antonio. The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness. Harcourt, 1999.pp.152-153
- (37) Edelman, Gerald M. Bright Air, Brilliant Fire: On the Matter of the Mind. Basic Books, 1992.pp.114-117
- (38) Singer, Wolf. "Neuronal Synchrony: A Versatile Code for the Definition of Relations?" Neuron, vol. 24, no. 1, 1999, pp. 49–65.
- (39) Singer, W., & Gray, C. M. (1995). "Visual Feature Integration and the Temporal Correlation Hypothesis". Annual Review of Neuroscience, 18, p.556
- (40) Engel, A. K., & Singer, W. (2001). "Temporal binding and the neural correlates of sensory awareness". Trends in Cognitive Sciences, 5(1), 16–25.
- (41) Llinás, Rodolfo, and Denis Paré. "Consciousness and the Thalamocortical Loop." International Congress Series, vol. 1162, 1999, pp. 103–111.
- (42) Dehaene, S., & Changeux, J. P. (2011). "Experimental and theoretical approaches to conscious processing". Neuron, 70(2),p.201.
- (43) Llinás, R., & Paré, D. (1991). "Of dreaming and wakefulness". Neuroscience, 44(3),p.522
- (44) Ward, L. M. (2011). "The thalamic dynamic core theory of conscious experience". Consciousness and Cognition, 20(2),p.464
- (45) Solms, Mark. The Hidden Spring: A Journey to the Source of Consciousness. W. W. Norton, 2021.pp.188-190

- (46) Merker, Björn. "Consciousness without a cerebral cortex: A challenge for neuroscience and medicine." *Behavioral and Brain Sciences*, vol. 30, no. 1, 2007, pp. 63–81.
- (47) Tononi, Giulio. *Phi: A Voyage from the Brain to the Soul*. Pantheon, 2012. pp.91-93
- (48) Koch, C., Massimini, M., Boly, M., & Tononi, G. (2016). "Neural correlates of consciousness: progress and problems." *Nature Reviews Neuroscience*, 17(5), 307–321.
- (49) Boly, M., Massimini, M., Tsuchiya, N., Postle, B. R., Koch, C., & Tononi, G. (2017). "Are the neural correlates of consciousness in the front or in the back of the cerebral cortex? Clinical and neuroimaging evidence." *Journal of Neuroscience*, 37(40), 9603–9613.
- (50) Jackson, Frank. "Epiphenomenal Qualia." *The Philosophical Quarterly*, vol. 32, no. 127, 1982, pp. 127–136.
- (51) Nagel, Thomas. "What Is It Like to Be a Bat?" *The Philosophical Review*, vol. 83, no. 4, 1974, p.436
- (52) Levine, Joseph. "Materialism and Qualia: The Explanatory Gap." *Pacific Philosophical Quarterly*, vol. 64, no. 4, 1983, pp. 354–361.
- (53) Chalmers, David J. *The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory*. Oxford University Press, 1996. p.105
- (54) Zahavi, Dan. *Subjectivity and Selfhood: Investigating the First-Person Perspective*. MIT Press, 2005. p.6
- (55) Damasio, Antonio R. *The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness*. Harcourt Brace, 1999. p.169
- (56) Edelman, Gerald M. *A Universe of Consciousness: How Matter Becomes Imagination*. Basic Books, 2000. p.33
- (57) Merleau-Ponty, Maurice. *Phenomenology of Perception*. Translated by Donald A. Landes, Routledge, 2012, p.98
- (58) Tye, Michael. *Ten Problems of Consciousness: A Representational Theory of the Phenomenal Mind*. MIT Press, 1995. pp.134-136
- (59) Rosenthal, David M. *Consciousness and Mind*. Oxford University Press, 2005. pp.111-113

- (60) Block, Ned. "On a Confusion About a Function of Consciousness." Behavioral and Brain Sciences, vol. 18, no. 2, 1995, pp. 227–247.
- (61) Rosenthal, David M. Consciousness and Mind, p.125
- (62) Harman, G. (1990). The Intrinsic Quality of Experience. In J. Tomberlin (Ed.), Philosophical Perspectives, Vol. 4: Action Theory and Philosophy of Mind (pp. 31–52). MIT Press, pp. 39–40.
- (63) Kriegel, U. (2009). Subjective Consciousness: A Self-Representational Theory. Oxford University Press, pp. 2–5.
- (64) Block, Ned. "Mental Paint and Mental Latex." Philosophical Issues, vol. 7, 1996, pp. 19–49.
- (65) Rosenthal, D. M. (2005). Consciousness and Mind. Oxford University Press, pp. 214–219.
- (66) Windt, J. M. (2015). Dreaming: A Conceptual Framework for Philosophy of Mind and Empirical Research. MIT Press, p. 101.
- (67) Zahavi, Dan. Self-Awareness and Alterity: A Phenomenological Investigation. Northwestern University Press, 1999, pp. 4–6
- (68) Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to a Pure Phenomenology and to a Phenomenological Philosophy: First Book. Translated by F. Kersten, Springer, 1983, p. 94
- (69) Thompson, E. (2007). Mind in Life: Biology, Phenomenology, and the Sciences of Mind. Harvard University Press, pp. 18–22.
- (70) Chalmers, The Conscious Mind, 1996, pp. 105–106
- (71) Damasio, Antonio R. The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness. Harcourt, 1999, pp. 117–119
- (72) Tye, Michael. Ten Problems of Consciousness: A Representational Theory of the Phenomenal Mind. MIT Press, 1995, pp. 142–144
- (73) Zahavi, A Phenomenological Investigation, 1999, pp. 9–10
- (74) Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to a Pure Phenomenology and to a Phenomenological Philosophy: First Book. Translated by F. Kersten, Springer, 1983, p. 94
- (75) Zeki, S. (1993). A Vision of the Brain. Blackwell, pp. 45–49.

- (76) Tye, M. (2000). *Consciousness, Color, and Content*. MIT Press, pp. 101–103.
- (77) Husserl, E. (1991 [1900]). *Logical Investigations* (J. N. Findlay, Trans.). Kluwer Academic, pp. 95–98.
- (78) Haggard, P. (2008). “Human volition: Towards a neuroscience of will.” *Nature Reviews Neuroscience*, 9(12), pp. 933–936.
- (79) Searle, J. (1983). *Intentionality: An Essay in the Philosophy of Mind*. Cambridge University Press, pp. 84–87.
- (80) Zahavi, D. (2005). *Subjectivity and Selfhood: Investigating the First-Person Perspective*. MIT Press, pp. 19–21.
- (81) Gallagher, S. (2012). *Phenomenology*. Oxford University Press, pp. 144–147.
- (82) Damasio, A. (1999). *The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness*. Harcourt, pp. 314–316.
- (83) Nagel, T. (1974). “What is it like to be a bat?” *The Philosophical Review*, 83(4), pp. 436–438.
- (84) Gallagher, S., & Zahavi, D. (2012). *The Phenomenological Mind* (2nd ed.). Routledge, pp. 119–121.
- (85) Seth, A. K. (2018). “Consciousness: The last 50 years (and the next).” *Trends in Cognitive Sciences*, 22(7), pp. 613–615.
- (86) Chalmers, D. J. (1995). “Facing up to the problem of consciousness.” *Journal of Consciousness Studies*, 2(3), pp. 202–204.

قائمة المصادر والمراجع

- Baars, B. J. (1988). A Cognitive Theory of Consciousness. Cambridge University Press.p.92
- Baars, B. J.(2002).The conscious access hypothesis: Origins and recent evidence. Trends in Cognitive Sciences, 6(1), .
- Baars, Bernard J. In the Theater of Consciousness: The Workspace of the Mind. Oxford University Press, 1997.
- Baumeister, R. F., & Masicampo, E. J. (2010). Conscious thought is for facilitating social and cultural interactions: How mental simulations serve the animal–culture interface. Psychological Review, 117(3),.
- Block, Ned. "Concepts of Consciousness." Trends in Cognitive Sciences, vol. 1, no. 8, 1995.
- Block, Ned. "Mental Paint and Mental Latex." Philosophical Issues, vol. 7, 1996,.
- Block, Ned. "On a Confusion About a Function of Consciousness." Behavioral and Brain Sciences, vol. 18, no. 2, 1995,.
- Block, Ned. "Troubles with Functionalism." In Readings in Philosophy of Psychology, edited by Ned Block, vol. 1, Harvard University Press, 1980,.
- Boly, M., Massimini, M., Tsuchiya, N., Postle, B. R., Koch, C., & Tononi, G. (2017). "Are the neural correlates of consciousness in the front or in the back of the cerebral cortex? Clinical and neuroimaging evidence." Journal of Neuroscience, 37(40),.
- Chalmers, D. J. (1995). "Facing up to the problem of consciousness." Journal of Consciousness Studies
- Chalmers, David J. The Conscious Mind: In Search of a Fundamental Theory. Oxford University Press, 1996.
- Damasio, Antonio R. The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness. Harcourt Brace, 1999.
- Dehaene, S., & Changeux, J. P. (2011). "Experimental and theoretical approaches to conscious processing". Neuron, 70(2),.

- Dehaene, S., & Naccache, L. (2001). Towards a cognitive neuroscience of consciousness: basic evidence and a workspace framework. *Cognition*, 79(1-2), .
- Dennett, Daniel C. *Consciousness Explained*. Boston: Little, Brown and Company, 1991.
- Dennett, Daniel C. *Sweet Dreams: Philosophical Obstacles to a Science of Consciousness*. MIT Press, 2005.
- Descartes, René. *Meditations on First Philosophy*. Translated by John Cottingham, Cambridge University Press, 1996.
- Edelman, Gerald M. *A Universe of Consciousness: How Matter Becomes Imagination*. Basic Books, 2000.
- Edelman, Gerald M. *Bright Air, Brilliant Fire: On the Matter of the Mind*. Basic Books, 1992.
- Engel, A. K., & Singer, W. (2001). "Temporal binding and the neural correlates of sensory awareness". *Trends in Cognitive Sciences*, 5(1), .
- Gallagher, S. (2012). *Phenomenology*. Oxford University Press,.
- Gallagher, S., & Zahavi, D. (2012). *The Phenomenological Mind* (2nd ed.). Routledge,.
- Gazzaniga, M. S. (2011). *Who's in Charge? Free Will and the Science of the Brain*. HarperCollins.
- Graziano, Michael S. A. *Consciousness and the Social Brain*. Oxford University Press, 2013.
- Haggard, P. (2008). "Human volition: Towards a neuroscience of will." *Nature Reviews Neuroscience*, 9(12),.
- Harman, G. (1990). *The Intrinsic Quality of Experience*. In J. Tomberlin (Ed.), *Philosophical Perspectives*, Vol. 4: Action Theory and Philosophy of Mind. MIT Press,.
- Husserl, E. (1991 [1900]). *Logical Investigations* (J. N. Findlay, Trans.). Kluwer Academic,.
- Husserl, Edmund. *Ideas Pertaining to a Pure Phenomenology and to a Phenomenological Philosophy: First Book*. Translated by F. Kersten, Springer, 1983.

- Husserl, Edmund. *Ideas Pertaining to a Pure Phenomenology and to a Phenomenological Philosophy: First Book*. Translated by F. Kersten, Springer, 1983.
- Jackson, Frank. "Epiphenomenal Qualia." *The Philosophical Quarterly*, vol. 32, no. 127, 1982, .
- Koch, C., Massimini, M., Boly, M., & Tononi, G. (2016). "Neural correlates of consciousness: progress and problems." *Nature Reviews Neuroscience*, 17(5), .
- Kriegel, U. (2009). *Subjective Consciousness: A Self-Representational Theory*. Oxford University Press,.
- Laureys, Steven, et al., eds. *The Neurology of Consciousness: Cognitive Neuroscience and Neuropathology*. Academic Press, 2015.
- Levine, Joseph. "Materialism and Qualia: The Explanatory Gap." *Pacific Philosophical Quarterly*, vol. 64, no. 4, 1983.
- Llinás, R., & Paré, D. (1991). "Of dreaming and wakefulness". *Neuroscience*, 44(3),.
- Llinás, Rodolfo, and Denis Paré. "Consciousness and the Thalamocortical Loop." *International Congress Series*, vol. 1162, 1999, .
- Merker, Björn. "Consciousness without a cerebral cortex: A challenge for neuroscience and medicine." *Behavioral and Brain Sciences*, vol. 30, no. 1, 2007,.
- Merleau-Ponty, Maurice. *Phenomenology of Perception*. Translated by Donald A. Landes, Routledge, 2012 ,.
- Nagel, Thomas. "What Is It Like to Be a Bat?" *The Philosophical Review*, vol. 83, no. 4, 1974, .
- Putnam, Hilary. *Mind, Language and Reality: Philosophical Papers, Volume 2*. Cambridge University Press, 1975.
- Rosenthal, David M. *Consciousness and Mind*. Oxford University Press, 2005.
- Schooler, Jonathan W. "Re-representing Consciousness: Dissociations Between Experience and Meta consciousness." *Trends in Cognitive Sciences*, vol. 6, no. 8, 2002.

- Searle, "Minds, Brains, and Programs," Behavioral and Brain Sciences, 1980.
- Searle, J. (1983). Intentionality: An Essay in the Philosophy of Mind. Cambridge University Press,.
- Searle, John R. Minds, Brains, and Science. Harvard University Press, 1984.
- Searle, John R. The Mystery of Consciousness. The New York Review of Books, 1997.
- Searle, John R. The Rediscovery of the Mind. MIT Press, 1992.
- Seth, A. K. (2018). "Consciousness: The last 50 years (and the next)." Trends in Cognitive Sciences, 22(7),.
- Singer, W., & Gray, C. M. (1995). "Visual Feature Integration and the Temporal Correlation Hypothesis". Annual Review of Neuroscience, 18, .
- Singer, Wolf. "Neuronal Synchrony: A Versatile Code for the Definition of Relations?" Neuron, vol. 24, no. 1, 1999,.
- Solms, Mark. The Hidden Spring: A Journey to the Source of Consciousness. W. W. Norton, 2021.
- Thompson, E. (2007). Mind in Life: Biology, Phenomenology, and the Sciences of Mind. Harvard University Press,.
- Tononi, Giulio. Phi: A Voyage from the Brain to the Soul. Pantheon, 2012.
- Tye, M. (2000). Consciousness, Color, and Content. MIT Press,.
- Tye, Michael. Ten Problems of Consciousness: A Representational Theory of the Phenomenal Mind. MIT Press, 1995.
- Ward, L. M. (2011). "The thalamic dynamic core theory of conscious experience". Consciousness and Cognition, 20 (2),.
- Windt, J. M. (2015). Dreaming: A Conceptual Framework for Philosophy of Mind and Empirical Research. MIT Press,.
- Zahavi, A Phenomenological Investigation, 1999, .
- Zahavi, D. (2005). Subjectivity and Selfhood: Investigating the First-Person Perspective. MIT Press,.
- Zahavi, Dan. Self-Awareness and Alterity: A Phenomenological Investigation. Northwestern University Press, 1999.
- Zeki, S. (1993). A Vision of the Brain. Blackwell,.